الفصل الأول
صور من الحرب النفسية
في عهد الأنبياء قبل محمد ﷺ

ويشتمل على:

تمهيد وأربعة مباحث:

التمهيد: بعض الوسائل في الحرب النفسية التي تعرض لها الرسل -صلوات الله وسلامه عليهم- إجمالاً.

المبحث الأول: الحرب النفسية ضد نوح -عليه السلام- وكيف قاومها.

المبحث الثاني: الحرب النفسية ضد إبراهيم -عليه السلام- وكيف قاومها.

المبحث الثالث: الحرب النفسية ضد موسى -عليه السلام- وكيف قاومها.

المبحث الرابع: الحرب النفسية ضد عيسى -عليه السلام- وكيف قاومها.

obeikandl.com

obeikandl.com

تمهيد

إن المواجهة بين الحق والباطل قديمة قدم البشرية فمنذ أطل الحق على ظهر الأرض والباطل يريد الوثوب عليه، والتخلص منه، حتى يخلو له جو الأرض فيعبث فيه كيف يشاء، ويملأه خرابًا وفسادًا وظلمًا وإلحادًا.

ومما لا شك فيه أن الباطل في صراعه الطويل مع الحق قد استخدم كل الأسلحة الممكنة للقضاء على هذا الحق من حرب عسكرية واقتصادية وسياسية وهي ما نسميه في العصر الحاضر بالحرب النفسية.

ومما يلفت النظر ويسترعي الانتباه أن القرآن الكريم في معالجة الحرب النفسية التي تعرض لها رسل الله السابقين قد سلك طريقين:

الطريق الأول: أن القرآن تناول ما تعرض له الرسل السابقون من الحرب النفسية على وجه الإجمال والعموم.

الطريق الثاني: أن القرآن تناول ما تعرض له كل رسول من الحرب النفسية على حدة.

واتباعًا لمنهج القرآن سوف أذكر إن شاء الله في هذا التمهيد بعض ما ذكره القرآن عن الرسل إجمالاً من حيث ما تعرضوا له عليهم السلام من حرب النفسية.

ثم أتبعه إن شاء الله بالتفصيل بذكر ما تعرض له أولوا العزم من الرسل من حرب نفسية في المباحث التي تناولها هذا الفصل ولقد اقتصرت في ذكر الأنبياء بالتفصيل على أولوا العزم منهم عليهم الصلاة والسلام لأسباب، هذه الأسباب أهمها:

أولاً: أنهم أكثر الأنبياء ذكرًا في القرآن الكريم.

ثانيًا: نادرًا ما نجد نبيًا غيرهم قد تعرض لحرب نفسية لم يتعرضوا هم لها.

ثالثًا: أنهم أكثر من غيرهم من الأنبياء تعرضًا للحرب النفسية.

رابعًا: ضيق البحث عن أن يستوعب جميع الأنبياء على سبيل التفصيل.

obeikandl.com

ولذلك ونظرًا لشدة ما لاقاه أولو العزم من الرسل من الأذى ومن الحرب النفسية بمختلف صورها من أقوامهم فقد أمر الله سبحانه وتعالى نبيه ﷺ أن يتأسى بهم عليهم السلام في الصبر على شدائد الدعوة ومصاعبها لأنهم ضربوا أروع الأمثلة في ذلك.

قال تعالى: ﴿ فَٱصۡبِرۡ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلۡعَزۡمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسۡتَعۡجِل لَّهُمۡۚ كَأَنَّهُمۡ يَوۡمَ يَرَوۡنَ مَا يُوعَدُونَ لَمۡ يَلۡبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةٗ مِّن نَّهَارِۭۚ بَلَٰغٞۚ فَهَلۡ يُهۡلَكُ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ﴾ [الأحقاف: ٣٥].

يقول العلامة أبو السعود في تفسيره لهذه الآية ﴿ فَٱصۡبِرۡ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلۡعَزۡمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ ﴾ فاصبر على ما يصيبك من جهتهم كما صبر أولو الثبات والحزم من الرسل فإنك من جملتهم فإنهم صبروا على تحمل تبليغ الشرائع ومعاداة الطاعنين فيها[(١)].

والمراد بأولي العزم كما قال مجاهد[(٢)]: هم خمسة: نوح -عليه السلام-، وإبراهيم -عليه السلام-، وموسى -عليه السلام-، وعيسى -عليه السلام-، ومحمد ﷺ وهم أصحاب الشرائع[(٣)].

بعض الوسائل التي أشار القرآن الكريم إلى استخدامها ضد الرسل إجمالاً:

أولاً: الاستهزاء:

الاستهزاء وسيلة قوية التأثير من وسائل الحرب النفسية والتي استخدمت ضد أنبياء الله عليهم السلام، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدِ ٱسۡتُهۡزِئَ بِرُسُلٖ مِّن قَبۡلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ

---

(١) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، لأبي السعود (٥/ ٥٨٢) باختصار.

(٢) هو مجاهد بن جبر أبو الحجاج المكي المفسر الإمام، روى عن خلق كثير، وروى عنه عكرمة وقتادة وآخرون، قال -رحمه الله-: عرضت القرآن على ابن عباس ثلاثين مرة، وكان عالمًا بالتفسير، توفي إحدى أو اثنين أو ثلاثة أو أربعة ومائة وله ثلاث وثمانون سنة. انظر: طبقات المفسرين للداودي (٢/ ٣٠٥)، وتهذيب التهذيب (٤/ ٣٧٣)، وانظر: صفة الصفوة، لابن الجوزي (٢/ ٢٠٨)، طبعة دار المعرفة، ط/ الثانية.

(٣) انظر: الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (٩/ ٦٠٤٠).

سَخِرُواْ مِنۡهُم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ﴾ [الأنعام: ١٠].

يقول العلامة الألوسي[١] في تفسيره لهذه الآية:

﴿ وَلَقَدِ ٱسۡتُهۡزِئَ بِرُسُلٖ مِّن قَبۡلِكَ ﴾ : تسلية لرسول الله ﷺ عما يلقاه من فوقه كالوليد بن المغيرة وأمية بن خلف وأبي جهل وأضرابهم، أي أنك لست أول رسول استهزأ به قومه فكم وكم من رسول جليل الشأن فعل معه ذلك.

فالتنوين في ﴿ بِرُسُلٖ﴾ للتفخيم والتكثير[٢]، فالآية الكريمة فيها تسلية له ﷺ بأن هذا الإعراض والتكذيب الذي يلاقيه من قومه ليس بدعًا في تاريخ الدعوة إلى الحق، فقد لقى مثله من الرسل قبله وقد لقى المستهزئون جزاءهم الحق وحاق بهم ما كان به يستهزئون في نهاية المطاف، فالآية الكريمة تذكير للمستهزئين من العرب بمصارع أسلافهم المستهزئين وتذكيرهم بهذه المصارع إذا هم لجوا في الاستهزاء والسخرية[٣].

والآية الكريمة تؤكد عدة معان منها:

أولاً: أن أسلوب الاستهزاء أسلوب تأصل في أعداء الله استخدامه في الحرب النفسية ضد الأنبياء وضد دعاة الحق على مر الأزمنة واختلاف الأمكنة.

ثانيًا: أن الله سبحانه وتعالى يقف بجوار أتباعه أتباع الحق دائمًا فينتصر لهم وينتقم من أعدائهم.

ثالثًا: إذا فطن أتباع الحق إلى أنهم من الطبعي أن يكونوا محط استهزاء أعدائهم وأن الله ناصرهم فعليهم أن يصبروا ويحتسبوا ولا يضجروا ولا يتعجلوا ولهم في رسل الله

---

(١) العلامة الألوسي هو: محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي، ولد في بغداد سنة ١٢١٧هـ، وجمع من العلم الكثير حتى أصبح شيخ العلماء في العراق واشتغل بالتدريس وهو ابن ثلاثة عشرة سنة وتوفي سنة ١٢٧٠هـ. انظر: التفسير والمفسرون، لمحمد حسين الذهبي، ط/ دار الكتب الحديثة، ١٣٩٦هـ/ ١٩٧٦م، القاهرة (١٠/ ٣٥٢، ٣٥٤).

(٢) روح المعاني، للألوسي، الجزء السابع (٥/ ١٤٧).

(٣) انظر: في ظلال القرآن، لسيد قطب (٢/ ١٠٤٥).

عليهم السلام أسوة حسنة.

ثانيًا: التهديد:

يقال «هد» الصوت – هدؤا: غلظ، و«هدده»: أوعده وخوفه، و«تهدده»: مبالغة في هدده، و«التهداد»: التخويف والتوعد بالعقوبة[١].

والتهديد وسيلة أخرى من وسائل الحرب النفسية أشار القرآن الكريم إلى استخدامها ضد رسل الله عليهم السلام، قال تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِرُسُلِهِمۡ لَنُخۡرِجَنَّكُم مِّنۡ أَرۡضِنَآ أَوۡ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَاۖ فَأَوۡحَىٰٓ إِلَيۡهِمۡ رَبُّهُمۡ لَنُهۡلِكَنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [إبراهيم: ١٣].

فالآية الكريمة تبين تهديد الذين كفروا لرسلهم بالإخراج من الأرض إن لم يتركوا عبادة الله وحده وتبين مبالغة الأعداء في ذلك، إذ يؤكدون قولهم بالقسم، وهذا ما يوضحه العلامة الشوكاني[٢] في تفسيره لهذه الآية إذ يقول: قوله: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾ القائلون هم طائفة من المتمردين عن إجابة الرسل واللام في ﴿ لَنُخۡرِجَنَّكُم ﴾ هي الموطئة للقسم أي: والله لنخرجنكم من أرضنا أو لتعودن في ملتنا، لم يقتنعوا بردهم لما جاءت به الرسل، وعدم امتثالهم لما دعوهم إليه حتى اجترءوا عليهم بهذا وخيروهم بين الخروج من أرضهم أو العودة في ملتهم الكافرة.

وقيل: إن الخطاب للرسل ولمن آمن بهم فغلب الرسل على أتباعهم.

﴿ فَأَوۡحَىٰٓ إِلَيۡهِمۡ رَبُّهُمۡ ﴾ أي: إلى الرسل ﴿ لَنُهۡلِكَنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ أي: قال لهم لنهلكن

---

(١) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، دار الدعوة، استانبول، تركيا، بدون تاريخ (٢/ ٩٧٦).

(٢) العلامة الشوكاني هو: محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني، ولد باليمن ١١٧٣هـ، وانتقل إلى صنعاء، وعمل فيها بالفتيا والتدريس والقضاء، له مؤلفات كثيرة منها: «نيل الأوطار»، و«الدرر البهية»، و«السيل الجرار»، و«فتح القدير» وغيرها، توفي سنة ١٢٥٠هـ، انظر: معجم المؤلفين، لرضا كحالة (١١/ ٥٣).

الظالمين[1] فلا تنزعجوا بتهديدهم ولا تتأثروا له فنحن نتولى الذب عنكم.

ومما يستفاد من هذه الآية:

أولاً: أن الآية الكريمة فيها تسلية وتثبيت لقلب النبي ﷺ ولكل من تبعه حتى يصبروا على إخراج قومهم لهم.

ثانيًا: فيها دعوة عامة لدعاة الحق إلى الصبر والثبات أمام تهديد معانديهم.

ثالثًا: أن الدائرة دائمًا تدور على الظالمين وفي النهاية الحق سينتظر لا محالة.

رابعًا: أن أتباع الباطل لا يطيقون أتباع الحق إلى جوارهم وأمام أعينهم فهم دائمًا حريصون على إبعادهم بصور الإبعاد المختلفة من نفي أو سجن أو قتل، قال تعالى على لسان قوم لوط: ﴿ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَخْرِجُوٓاْ ءَالَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴾ [النمل: ٥٦].

ثالثًا: اتهامهم بالسحر والجنون:

وسيلة أخرى من وسائل الكفار من أقوام الأنبياء -عليهم السلام- أن اتهموا أنبياءهم بالسحر والجنون، وهذا ما أشار إليه القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿ كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُواْ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ۝٥٢ أَتَوَاصَوْاْ بِهِۦۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴾ [الذاريات: ٥٢-٥٣]، فالآية الكريمة تبين وحدة منهج الكافرين ضد أنبيائهم -عليهم السلام- مهما اختلفت الأزمنة والأمكنة، فقد اتفقوا على اتهام أنبيائهم تهمتين شنيعتين «السحر والجنون» إمعانًا منهم في حرب أنبيائهم نفسيًا والتأثير على معنوياتهم فهم لشدة تشابههم في استخدام هذه الوسيلة وكأنهم أوصى بعضهم بعضًا وهم في الحقيقة لم يتواصوا وإنما جمع بينهم الطغيان.

---

(١) فتح القدير، للشوكاني (٣/ ١٠١).

يقول العلامة ابن عاشور[١] في تفسيره لهاتين الآيتين:

المعنى أن حال هؤلاء العرب المكذبين لمحمد ﷺ كحال الذين سبقوهم ممن كانوا مشركين من قبلهم فقد كانوا يصفون أنبيائهم بالسحر والجنون وزيادة ﴿ مِن ﴾ في قوله ﴿ مِّن رَّسُولٍ ﴾ للتنصيص على إرادة العموم، أي أن كل رسول قال فيه فريق من قومه هو ساحر أو مجنون، وقد يجمعون بين القولين مثل ما قال فرعون لموسى عليه السلام[٢].

﴿ أَتَوَاصَوْاْ بِهِۦۚ ﴾ تعجب من إجماعهم على تلك الكلمة الشنيعة، أي كأن الأولين والآخرين منهم أوصى بعضهم بعضًا بهذا القول حتى قالوا جميعًا.

﴿ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴾ إضراب عن أن التواصي جمعهم، إلا أن الجامع لهم على ذلك القول مشاركتهم في الطغيان الحامل عليه[٣].

والآيتان الكريمتان تشيران إلى:

أولاً: أن الاتهام بالسحر والجنون تكرر مع الأنبياء عليهم السلام من أقوامهم على اختلاف الأزمنة والأمكنة.

ثانيًا: أنه من شدة تشابه استخدام الأعداء لوسيلة الاتهام للأنبياء بالسحر والجنون فكأنهم تواصوا بذلك.

ثالثًا: أن الحامل للكافرين على عدائهم للأنبياء واتهامهم لهم عليهم السلام بالسحر والجنون، إنما هو الطغيان ومجاوزة حدود الله.

---

(١) العلامة ابن عاشور هو: محمد الطاهر بن محمد الشاذلي بن عبد القادر بن محمد بن عاشور، كبير علماء تونس، ولي قضاؤه سنة ١٢٦٧هـ، ثم الفتيا سنة ١٢٧٧هـ، له مؤلفات متعددة منها: «شفاء القلب الجريح»، و«هدية الأريب»، و«الغيث الأفريقي»، و«التحرير والتنوير»، توفي سنة ١٢٨٤هـ، انظر: الأعلام للزركلي (٦/ ١٧٣).

(٢) التحرير والتنوير، لابن عاشور، الجزء السابع والعشرون (١٣/ ٢١)، باختصار وتصرف.

(٣) روح المعاني للعلامة الألوسي، الجزء السابع والعشرون (١٥/ ٣٠).

رابعًا: أن الطغيان يعمي الأبصار ويطمس القلوب حتى يتسبب في قلب الحقائق وتزييف الواقع، ولم لا وقد قال الكافرون على أنبيائهم، سحرة ومجانين، وهم أرجح الناس عقلاً وأكملهم فكرًا.

خامسًا: شدة وضراوة الحرب النفسية التي تعرض لها أنبياء الله عليهم السلام على مر العصور.

رابعًا: التكذيب:

وسيلة أخرى من وسائل الحرب النفسية التي استخدمها الكافرون مع أنبيائهم على اختلاف العصور، وهي وسيلة شديدة الأثر على نفس الأنبياء، ولم لا وهم الهداة المشفقون على أقوامهم الحريصون على الأخذ بأيديهم إلى طريق الرشاد.

وفي استخدام المعارضين لهذه الوسيلة إشارة قوية على إمعانهم في الصد عن سبيل الله والتعنت في قبول الحق والإذعان له، ومما يدل على تكذيب أنبياء الله من أقوامهم قوله تعالى: ﴿ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَٰبُ ٱلرَّسِّ وَثَمُودُ ﴿١٢﴾ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَٰنُ لُوطٍ ﴿١٣﴾ وَأَصْحَٰبُ ٱلْأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍ ۚ كُلٌّ كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ ﴾ [ق: ١٢-١٤].

يقول العلامة الرازي[(١)] في تفسيره لهذه الآية: ﴿ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ ﴾ ذكر المكذبين هنا من الأمم السابقة تذكيرًا للمكذبين من أمة محمد ﷺ وإنذارًا بإهلاكهم واستئصالهم تسلية للرسول ﷺ وتنبيه بأن حاله كحال من تقدمه من الرسل، كذبوا وصبروا فأهلك الله مكذبيهم ونصرهم[(٢)].

﴿ كُلٌّ كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ ﴾ أي كل من هذه الأمم كذبوا رسولهم، ومن كذب رسوله

(١) العلامة الرازي هو: فخر الدين عمر بن الحسن بن الحسين بن علي التميمي المعروف بالفخر الرازي، ولد سنة ٥٤٤هـ، وله مؤلفات متعددة منها: «مفاتيح الغيب»، و«المطالب العالية في علم الكلام»، و«شرح أسماء الله الحسنى»، توفي سنة ٦٠٦هـ، انظر: وفيات الأعيان لابن خلكان (٤/ ٢٤٨)، معجم المؤلفين لرضا عمر كحالة (١١/ ٧٩).

(٢) مفاتيح الغيب للرازي (١٤/ ٤٣٢).

فكأنما كذب الرسل جميعًا.

﴿ فَحَقَّ وَعِيدِ ﴾ أي فوجب لهم الوعيد الذي وعد به من كفر وهو العذاب والنقمة(١).

فالآيات الكريمات قد نصت على أن الرسل قد كذبوا من أقوامهم، فهم اشتركوا في التكذيب وإن اختلفوا في الأزمان والأجناس والأعراق.

وهناك آيات أخرى في القرآن الكريم أشارت إلى أن أقوام الأنبياء قد استخدموا وسيلة التكذيب مع أنبيائهم، وهي وسيلة من وسائل الحرب النفسية شديدة الوقع على النفس.

قال تعالى: ﴿ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو ٱلْأَوْتَادِ ﴿١٢﴾ وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَٰبُ لْـَٔيْكَةِ ۖ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلْأَحْزَابُ ﴿١٣﴾ إِن كُلٌّ إِلَّا كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ ﴾ [ص: ١٢-١٤].

ولعل تكرار المواضع القرآنية التي أشارت إلى تكذيب الأقوام لأنبيائهم ليدل دلالة واضحة على ضراوة الحرب النفسية التي عانى منها الأنبياء عليهم صلوات الله وتسليمه من جرَّاء هذه الوسيلة.

ومن الآيات التي تؤكد استخدام الكافرين لهذه الوسيلة مع أنبيائهم ولكنها تزيد على الآيات السابقة في توجيهها للرسول ﷺ بالصبر تأسيًا بمن قبله من الأنبياء، كما أنها تحمل الوعد بالنصر والغلبة على المكذبين قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا۟ عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا۟ وَأُوذُوا۟ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمْ نَصْرُنَا ۚ وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَلَقَدْ جَآءَكَ مِن نَّبَإِى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ [الأنعام: ٣٤].

يقول العلامة الشوكاني في تفسيره لهذه الآية: ﴿ وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا۟ عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا۟ وَأُوذُوا۟ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمْ نَصْرُنَا ۚ ﴾ هذا من جملة التسلية لرسول الله ﷺ

(١) محاسن التأويل للقاسمي (١٥/ ٥٤٨٨)، بتصرف يسير.

أي أن هذا الذي وقع من هؤلاء ليس هو بأول ما صنعه الكفار مع من أرسله الله إليهم، بل قد وقع التكذيب لكثير من الرسل من قبلك فاقتد بهم ولا تحزن، واصبر كما صبروا على ما كذبوا به وأوذوا، حتى يأتيك نصرنا كما أتاهم فإنا لا نخلف الميعاد.

﴿ وَلَقَدْ جَآءَكَ مِن نَّبَإِيْ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ ما جاءك من تجرئ قومهم عليهم في الابتداء، وتكذيبهم لهم، ثم نصرهم عليهم في الانتهاء، وأنت ستكون عاقبة هؤلاء المكذبين لك كعاقبة المكذبين للرسل فيرجعون إليك، ويدخلون في الدين الذي تدعوهم إليه طوعًا أو كرهًا[١].

فالآيات الكريمات جاءت للرسول ﷺ في معرض التسرية والمواساة له ﷺ وهي كذلك ترسم للدعاة إلى الله من بعد رسول الله ﷺ طريقهم واضحًا، ودورهم محددًا، كما ترسم لهذه متاعب الطريق وعقباته، ثم ما ينتظرهم بعد ذلك كله في نهاية الطريق.

إنها تعلمهم أن سنة الله سبحانه وتعالى في الدعوات واحدة، كما أنها كذلك واحدة لا تتجزأ، دعوات تتلقاها الكثرة بالتكذيب، وتتلقى أصحابها بالأذى، وصبر من الدعاة على التكذيب وصبر كذلك على الأذى.

وسنة الله تجري بالنصر في النهاية، ولكنها تجيء به في موعده[٢].

خامسًا: التشكيك:

معنى الشك: ما خالف اليقين، يقال شكوك وشك في الأمر، وتشكك وشككه غيره[٣].

وقيل هو: اعتدال النقيضين عند الإنسان وتساويهما، واشتقاقه إما من شككت

---

(١) فتح القدير، للشوكاني (٢/ ١١٦).

(٢) انظر في ظلال القرآن، أ/ سيد قطب (٢/ ١٠٧٧)، القاهرة، دار الشروق، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٧م، الطبعة الثالثة عشر.

(٣) القاموس المحيط لفيروز آبادي، بيروت، لبنان، دار الجيل، بدون تاريخ (٣/ ٣١٩).

الشيء أي خرقته، ويصح أن يكون مستعارًا من الشك وهو لصوق العضد بالجنب، وذلك أن يتلاصق النقيضان فلا مدخل للفهم والرأي لتخلخل ما بينهما[١].

والتشكيك وسيلة أخرى من وسائل الحرب النفسية المستخدمة ضد أنبياء الله عليهم السلام من أقوامهم، والذي يدل دلالة واضحة على أن هؤلاء الأقوام لم يكتفوا بالكفر والتكذيب، بل بالغوا في ذلك وتفننوا في معارضة الأنبياء وجحود ما جاءوا به فأعلنوا شكهم وريبتهم وأخذوا يبثون هذه الشكوك في مجتمعاتهم.

وذلك إن دل على شيء فإنما يدل على تصاعد الحرب النفسية التي تعرض لها الأنبياء، وكأن أقوامهم كانوا يتفننون في رد دعوتهم وصرف الناس عنها.

والقرآن الكريم يشير إلى ذلك في قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُاْ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ ۛ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۛ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَرَدُّوٓاْ أَيْدِيَهُمْ فِيٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَقَالُوٓاْ إِنَّا كَفَرْنَا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ وَإِنَّا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ﴾ [إبراهيم: ٩].

يقول العلامة البيضاوي[٢] عند تفسيره لهذه الآية: ﴿ فَرَدُّوٓاْ أَيْدِيَهُمْ فِيٓ أَفْوَٰهِهِمْ ﴾ عضوا غيظًا مما جاءت به الرسل عليهم الصلاة والسلام، كقوله تعالى: ﴿ عَضُّواْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَنَامِلَ مِنَ ٱلْغَيْظِ ۚ ﴾ [آل عمران: ١١٩] أو وضعوها عليها تعجبًا منه أو استهزاء عليه كمن غلبه الضحك، أو إسكاتًا للأنبياء عليهم الصلاة والسلام وأمرًا لهم بإطباق الأفواه[٣] لأن الرسل جاءتهم بتسفيه أحلامهم، وشتم أصنامهم، وقيل المعنى أنهم

---

(١) معجم مفردات ألفاظ القرآن الكريم، للراغب الأصفهاني، بيروت، دار الفكر، بدون تاريخ، (ص٢٧٢).

(٢) العلامة البيضاوي هو: عبد الله بن محمد بن ناصر الدين البيضاوي صاحب التفسير المسمى «أنوار التنزيل وأسرار التأويل»، والمنهاج في الأصول وشرح المطابع في المنطق وغيرها، توفي سنة ٧٩١هـ، انظر: طبقات المفسرين للداودي (١/ ٢٤٢، ٢٤٣).

(٣) تفسير أنوار التنزيل وأسرار التأويل (١/ ٥١٤).

أشاروا إلى أنفسهم وما يصدر عنها من المقالة، وهي قولهم: ﴿ إِنَّا كَفَرْنَا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ ﴾ أي لا جواب لكم سوى هذا الذي قلناه لكم بألسنتنا هذه، وقيل: جعلوا أيديهم في أفواه الرسل ردًا لقولهم، فالضمير الأول على الكفار، والثاني على الرسل.

وقيل المعنى: أخذوا أيدي الرسل ووضعوها على أفواه الرسل ليسكتوهم ويقطعوا كلامهم.

وقيل إن الأيدي هنا: النعم، أي ردوا نعم الرسل بأفواههم، أي بالنطق والتكذيب، والمراد بالنعم هنا ما جاءهم به من الشرائع(١).

﴿ وَإِنَّا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَآ إِلَيْهِ ﴾ أي في شك عظيم مما تدعوننا إليه من الإيمان والتوحيد، ﴿ مُرِيبٍ ﴾ موقع في الريبة، وهي: قلق النفس وعدم اطمئنانها بالشيء(٢).

فالآية الكريمة خطاب للنبي ﷺ ولأمته لإرشادهم وتنبيههم إلى ما كان يلاقيه حاملوا دعوة الحق من أقوامهم على مر العصور من كفر بيِّنٍ وجحود لآيات الله، والمبالغة في ردها ومعاندتها، ورد الخير الذي جاءت تحمله في طياتها، وهم مع ذلك لم يكتفوا بالفعال بل ساندوها بالأقوال التي تنطق بالمعارضة فأعلنوا كفرهم وشكهم فيما جاء به الأنبياء، بل أكدوا ذلك بأن ما جاء به الأنبياء موجب للشك والريبة، فلا يتسنى للرسول ﷺ وأتباعه أن يضجروا من معانديهم بعد ذلك فهم ليسوا أول من حوربوا في دعوتهم، وليسوا أول من أثيرت الشكوك حولهم، ولهم في الرسل من قبلهم أسوة حسنة.

وهكذا أشارت آيات القرآن الكريم إلى بعض وسائل الحرب النفسية التي استخدمت ضد الأنبياء إجمالاً على اختلاف أزمانهم، وقد تحدثت عن خمسة وسائل هي:

---

(١) فتح القدير للشوكاني (٣/ ٩٨) باختصار.

(٢) روح المعاني للألوسي، الجزء الثالث عشر (٨/ ٢٨٠، ٢٨١).

الاستهزاء، والتهديد، واتهامهم عليهم السلام بالسحر والجنون، والتكذيب، والتشكيك.

وقد بينت الآيات الكريمة مبالغة أقوام الأنبياء في استخدام هذه الأساليب مما يؤكد ضراوة الحرب النفسية التي تعرض لها أنبياء الله عليهم السلام، وبذلك أكون في هذا التمهيد قد اتبعت طريقة القرآن في الحديث عن الرسل عليهم السلام إجمالاً.

وفي المباحث التالية من هذا الفصل سأتحدث إن شاء الله عن أولي العزم من الرسل على وجه التفصيل.

obeikandl.com

المبحث الأول

الحرب النفسية ضد نوح -عليه السلام- وكيف قاومها

obeikandl.com

obeikandl.com

نوح عليه السلام:

نسبه: هو نوح بن لامك بن متوشلخ بن أخنوخ أي «إدريس» فإدريس جده الأكبر، وينتهي نسبه إلى شيث بن آدم عليهما السلام.

وكان مولده بعد وفاة آدم عليه السلام بسبعمائة سنة وستة وعشرين سنة، فيما ذكره ابن جرير وغيره، وكان بينه وبين آدم كما جاء في صحيح البخاري، عن ابن عباس[(١)] قال: «كان بين آدم ونوح عشرة قرون كلهم على الإسلام»[(٢)].

ذكر نوح في القرآن الكريم:

ذكر نوح عليه السلام في ثلاثة وأربعين موضعًا من القرآن الكريم، وذكرت قصته مفصلة في القرآن الكريم في كثير من السور الكريمة منها: الأعراف، هود، المؤمنون، الشعراء، والقمر، وذكرت سورة له عليه السلام خاصة.

ويذكر المؤرخون أن نوحًا عليه السلام هو أول رسول وإن كان قبله أنبياء.

المدة التي عاشها نوح عليه السلام:

عاش نوح عليه السلام طويلاً فهو أطول الأنبياء عمرًا وأكثرهم جهادًا، فقد أقام في قومه تسعمائة وخمسين عامًا يدعوهم سرًا وجهرًا، ليلاً ونهارًا بالحكمة والموعظة الحسنة، ولكنه لم يلق إلا كل تكذيب واضطهاد وصدود وإعراض فقد كانت قلوبهم أشد من الحجارة، وعقولهم أصلب من الحديد، ومع طول المدة التي أقامها نوح عليه السلام بينهم لم يؤمن برسالته إلا قليل.

---

(١) عبد الله بن عباس هو: عبد الله بن عباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف القرشي الهاشمي، ابن عم رسول الله ﷺ كان يسمى البحر لسعة علمه، ويسمى حبر الأمة لدعاء الرسول ﷺ له بأن يعلمه الله تعالى الحكمة، استعمله علي بن أبي طالب رضي الله عنه على البصرة، وعمي في آخر عمره، وتوفي سنة ٦٨هـ، وقيل توفي سنة ٧٠هـ، وقيل سنة ٧٣هـ، انظر: أسد الغابة في معرفة الصحابة، لابن الأثير (٣/ ٢٩٥، ٢٩٩).

(٢) قصص الأنبياء، لابن كثير (ص٦١)، ط/ دار التراث العربي، باختصار وتصرف.

قال تعالى: ﴿ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ ﴾ [هود: ٤٠].

وقد ذكر بعض المفسرين أن عدد الذين آمنوا معه كانوا عشرة وهم الذين ركبوا معه في السفينة، وذكر آخرون أنهم كانوا أربعين، والرواية الصحيحة التي وردت عن ابن عباس أنهم كانوا ثمانين نفسًا معهم نساؤهم(١).

والآيات التي تحدثت عن قصة نوح عليه السلام تشير إلى أنه قد بعث إلى قوم أشركوا بالله، وعبدوا الأوثان والأصنام، واتخذوا آلهة من دون الله اعتقدوا أنها تضر وتنفع وتبصر وتسمع، وأنها تستطيع أن تجلب لهم الخير وتدفع عنهم السوء، وتغني عنهم من دون الله، وهم أول قوم عبدوا الأصنام، وأشركوا بالله، ولهذا بعث الله سبحانه وتعالى إليهم نوحًا عليه السلام بالإنذار والتخويف(٢).

الحرب النفسية التي لاقاها نوح عليه السلام ومقاومته لها:

ما أشد ما لاقاه نوح عليه السلام من حرب نفسية من قومه وهي حرب ضروس تعرض لها عليه السلام لا هوادة فيها، اتخذت العديد من الوسائل، فهم لم يتورعوا عن إلقاء التهم عليه -عليه السلام-، ومجادلته بالباطل وتكذيبه والإعراض عنه.

وحتى نتخيل مدى ما عاناه نوح عليه السلام من قومه، علينا أن نتأمل قول الله عز وجل ﴿ فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَغْلُوبٌ فَٱنتَصِرْ ﴾ [القمر: ١٠]، إنه يستغيث بربه عز وجل، ويطلب منه النصر السريع والانتقام من أعدائه، وهذا يوحي بمدى اليأس الذي دب في قلب نوح عليه السلام، وهذا ما نلمحه في قول الله عز وجل: ﴿ قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِى كَذَّبُونِ ﴿١١٧﴾ فَٱفْتَحْ بَيْنِى وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِى وَمَن مَّعِىَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الشعراء: ١١٧، ١١٨].

---

(١) النبوة والأنبياء للشيخ محمد علي الصابوني، دمشق، دار العلم من (ص١٨٧ حتى ص١٩٠) باختصار وتصرف.

(٢) المصدر السابق (ص١٩٠).

ومما يدل على تصاعد الحرب النفسية ضده عليه السلام، وأن قومه أغلقوا أمامه جميع الأبواب والنوافذ لهدايتهم، وأجهدوه غاية الإجهاد بحربهم النفسية له، أنه عليه السلام قد دعا عليهم أن يهلكهم الله.

قال تعالى على لسان سيدنا نوح: ﴿ وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ۝٢٦ إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا۟ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓا۟ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ﴾ [نوح: ٢٦، ٢٧].

إن هذه اللهجة العادلة لتدلنا على مدى ما كان يعانيه نوح -عليه السلام- من قومه من حرب نفسية يمكن إجمال وسائلها ومقاومته لها فيما يلي:

أولاً: اتهامه عليه السلام بالضلال المبين:

كان رد قوم نوح عليه السلام على دعوته لهم بعبادة الله وتقواه وطاعتهم نوح عليه السلام هو مجابهتهم له باتهامه بالضلال المبين من أول لحظة، فهم لم يعطوا لأنفسهم ولو لحظة واحدة يفكرون فيها حتى يثوبوا إلى رشدهم، ويتذوقوا حلاوة الحق الذي جاء يهديهم إليه.

فقال تعالى: ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ۝٥٩ قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ۝٦٠ قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى ضَلَٰلَةٌ وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الأعراف: ٥٩-٦١]، فيا للعجب من قوم كان هذا ردهم: رسول رفيق بهم يدعوهم إلى عبادة الله وحده ويحذرهم عذابه، فيكون ردهم عليه أنه في ضلال وليس ضلال وفقط، وإنما ضلال بين واضح.

﴿ قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ ﴿ ٱلْمَلَأُ ﴾: الكبراء والسادات الذين جعلوا أنفسهم أضداد الأنبياء... وهم الذين يملأون صدور المجالس وتمتلئ القلوب من هيبتهم، وتمتلئ الأبصار من رؤيتهم وتتوجه العيون في المحافل إليهم، وهذه الصفات لا تحصل إلا في الرؤساء.

﴿ إِنَّا لَنَرَىٰكَ ﴾ الرؤية: بمعنى الاعتقاد والظن، ﴿ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ خطأ ظاهر وضلال بين[١]، حكموا بضلاله وأكدوه بالتعبير بالرؤية العلمية، وبأن واللام، وبالظرفية المفيدة للإحاطة، كأنهم قالوا: إنا لنراك في غمرة من الضلال محيطة بك لا تهتدي معها إلى الصواب سبيلاً، وذلك لما رأوه عليه من الثقة بما يدعو إليه[٢].

فهم قالوا عن نوح عليه السلام إنه في ضلال مبين، وهكذا يبلغ الضال من الضلال أن يحسب من يدعوه إلى الهدي هو الضال!

بل هكذا يبلغ التبجح الوقح بعدما يبلغ المسخ في الفطر، هكذا تنقلب الضوابط، ويحكم الهوى ما دام أن الميزان ليس هو ميزان الله الذي لا ينحرف ولا يميل.

وهكذا ترد جاهلية كل عصر عن الهداة فيها أنهم أهل الضلال، فالجاهلية هي الجاهلية ولا يتغير إلا الأشكال والظروف[٣].

ولنا أن نتخيل ما يحدث لنفس نوح عليه السلام تجاه هذا الرد العنيد من إيلام وحسرة، ولم لا وهو النبي الصادق والداعية المخلص الحريص على هداية قومه والأخذ بأيديهم إلى طريق الرشاد.

ثانيًا: اتهامه بالجنون:

وسيلة من وسائل الحرب النفسية التي استخدمها الملأ من قوم نوح عليه السلام أن اتهموه بالجنون ليردوا دعوته، ويساغ لهم في زعمهم إنكارها، ويفضوا الناس عنها.

قال تعالى على لسان قوم نوح: ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌۢ بِهِۦ جِنَّةٌ فَتَرَبَّصُواْ بِهِۦ حَتَّىٰ حِينٍ ﴾ [المؤمنون: ٢٥].

يقول العلامة ابن عاشور في تفسيره لهذه الآية: وجملة ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌۢ بِهِۦ جِنَّةٌ ﴾

---

(١) مفاتيح الغيب للرازي (٧/ ١٦٣).

(٢) المنار للشيخ رشيد رضا (٨/ ٤٣٤).

(٣) في ظلال القرآن، لسيد قطب (٣/ ١٣٠٨، ١٣٠٩) باختصار وتصرف.

استئناف بياني لأن جميع ما قالوه يثير في نفوس السامعين أن يتساءلوا، إذا كان هذا حال دعوته في البطلان والزيف فماذا دعاه إلى القول بها؟ فيجاب بأنه أصابه خلل في عقله فطلب ما لم يكن لينالـه مثله من التفضل على الناس كلهم، فقد طمع فيما لا يطمع عاقل في مثله فدل طمعه في ذلك على أنه مجنون.

والتنوين في ﴿ جِنَّةٌ﴾ للنوعية أي هو متلبس بشيء من الجنون، وهذا اقتصاد منهم في حالة حيث احترزوا من أن يورطوا أنفسهم في وصفه بالخبال مع أن المشاهد من حاله ينافي هذا، فأوهموا قومه أن به جنونًا خفيفًا لا تبدوا آثاره واضحة، وأمروا قومهم بالانتظار عما ينكشف بعد زمان: إما شفاء من الجنة فيرجع إلى الرشد أو ازدياد الجنون فيتضح أمره، فتعلموا أنه لا اعتداد بكلامه[1].

فالآية الكريمة تبين كيف انقلبت الحقائق لدى هؤلاء القوم فوصفوا أكملهم عقلاً بالجنون، ولكنهم كانوا حذرين في وصفهم له بذلك خشية أن يعارضهم الناس لما يعرفونه عن رجاحة عقل نوح عليه السلام ولذلك وصفوه بالجنون الخفيف.

ولقد بينت سورة القمر أن قوم نوح وصفوه بالجنون بعد أن كذبوه، وبالغوا في تكذيبه وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على أنهم إنما أرادوا تسويغ تكذيبه.

قال تعالى: ﴿كَذَّبَتۡ قَبۡلَهُمۡ قَوۡمُ نُوحٖ فَكَذَّبُواْ عَبۡدَنَا وَقَالُواْ مَجۡنُونٞ وَٱزۡدُجِرَ﴾ [القمر: ٩].

﴿ كَذَّبَتۡ قَبۡلَهُمۡ قَوۡمُ نُوحٖ فَكَذَّبُواْ عَبۡدَنَا ﴾ أي لما كانوا مكذبين للرسل جاحدين للنبوة رأسًا كذبوا نوحًا لأنه من جملة الرسل.

وقيل معنى كذبت: قصدت التكذيب وابتدأته، ومعنى فكذبوا: أتموه وبلغوا نهايته.

﴿ وَقَالُواْ مَجۡنُونٞ﴾ أي لم يقتصروا على مجرد التكذيب بل نسبوه إلى الجنون[2] وهي

(١) التحرير والتنوير، لابن عاشور، الجزء الثامن عشر (٩/ ٤٤) بتصرف يسير.
(٢) روح المعاني للألوسي، الجزء السابع والعشرون (١٥/ ١٢٤).

إشارة إلى أنه أتى بالآيات الدالة على صدقه، حيث رأوا ما عجزوا عنه، وقالوا هو مصاب الجن، أو هو لزيادة بيان قبح صنعهم، حيث لم يقنعوا بقولهم أنه كاذب، بل قالوا أنه مجنون أي يقول ما لا يقبله عاقل، والكاذب العاقل يقول ما يظن به أنه صادق، فقالوا: ﴿مَجۡنُونٞ﴾ أي يقول ما لم يقل به عاقل، فبين مبالغتهم في التكذيب[١].

وأسند التكذيب إلى جميع القوم؛ لأن الذين صدقوه عدد قليل، فإنه ما آمن به إلا قليل، وأعيد «كذبوا» لإفادة توكيد التكذيب أو هو تكذيب قوي، ﴿وَٱزۡدُجِرَ﴾ وهو افتعل من الزجر، وصيغة الافتعال هنا للمبالغة، ومعناه: ازدجروه أي نهوه عن ادعاء الرسالة بغلظة[٢].

وهكذا فقد جمعت هذه الآية ذكر وسائل مختلفة من وسائل الحرب النفسية في مواجهة نوح عليه السلاح، وذلك يؤكد ولا شك مدى الأثر الذي أثرته الحرب النفسية على نفس نوح عليه السلام، فلقد كذبوه وبالغوا في تكذيبه جريًا على سنتهم في تكذيب أنبياء الله عليهم السلام.

ولم يكتفوا بهذا، بل ادعوا أنه مجنون، كما منعوه من ممارسة دعوته بشتى الوسائل القاسية فنوح عليه السلام عكف على التفنن في وسائل دعوتهم إلى طريق الحق، وهم عليهم لعنة الله قد عكفوا على التفنن في وسائل معاداته وردِّ دعوته.

ثالثًا: الجدال:

تعريف الجدال في اللغة: اللدد في الخصومة والقدرة عليها[٣].

وفي الاصطلاح: الجدل والجدال: المفاوضة على سبيل المنازعة والمغالبة لإلزام الخصم[٤].

---

(١) مفاتيح الغيب (١٥/ ٦٦).

(٢) التحرير والتنوير، لابن عاشور، الجزء السابع والعشرون (١٣/ ١٨٠، ١٨١) باختصار.

(٣) لسان العرب، لابن منظور (١/ ٥٧١) ط/ دار المعارف.

(٤) مباحث في علوم القرآن لمناع القطان (ص٢٩٨)، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٣٩٦هـ.

والجدل وسيلة خطيرة من وسائل الحرب النفسية، أمعن الملأ من قوم نوح عليه السلام في استخدامها في حربهم النفسية ضد نوح عليه السلام، وأثاروا في جدالهم مع نوح عليه السلام جملة شبهات تبريرًا لرفضهم دعوة نوح، ويمكن إجمال هذه الشبهات فيما يلي:

أولاً: كون نوح عليه السلام من البشر.

ثانيًا: النبي يكون ملكًا.

ثالثًا: أن أتباع نوح من الأرذلين.

رابعًا: أنهم لا يرون لنوح ولا للمؤمنين به من فضل عليهم.

خامسًا: أنه بدعوته يريد أن يتفضل عليهم.

سادسًا: أنه رجل مجنون(١).

سابعًا: أنهم يرون نوحًا وأتباعه من الكاذبين.

قال تعالى حكاية عن قوم نوح وما أثاروه من شبهات في جدالهم مع نوح عليه السلام: ﴿ فَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِۦ مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ ٱلرَّأْيِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَٰذِبِينَ ﴾ [هود: ٢٧].

وقال تعالى: ﴿ فَقَالَ ٱلْمَلَؤُاْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِۦ مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً مَّا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِيٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌۢ بِهِۦ جِنَّةٌ فَتَرَبَّصُواْ بِهِۦ حَتَّىٰ حِينٍ ﴾ [المؤمنون: ٢٤، ٢٥].

يقول العلامة الشوكاني في تفسير قوله تعالى: ﴿ فَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِۦ ...﴾ الآية.

الآية الكريمة فيها ذكر ما أجاب به قومه عليه وهذا الجواب يتضمن الطعن منهم

---

(١) المستفاد من قصص القرآن للدعوة والدعاة، د/ عبد الكريم زيدان (٢/ ١٣٧).

obeikandl.com

في نبوته من ثلاث جهات، فقال: ﴿ فَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِۦ ﴾ والملأ: الأشراف، ووصفهم بالكفر ذمًا لهم، ﴿ مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا ﴾ هذه الجهة الأولى من جهات طعنهم في نبوته أي نحن وأنت مشتركون في البشرية فلم يكن لك علينا مزية تستحق بها النبوة دوننا.

والجهة الثانية: ﴿ وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا ﴾ ولم يتبعك أحد من الأشراف، فليس لك مزية في اتباع هؤلاء الأراذل لك، والأراذل هم: الفقراء والذين لا حسب لهم.

والجهة الثالثة: ﴿ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ ﴾ أي وما نرى لك ومن اتبعك من الأراذل علينا من فضل تتميزون به، وتستحقون ما تدعونه.

ثم أضربوا عن الثلاثة مطاعن وانتقلوا إلى ظنهم المجرد عن البرهان فقالوا: ﴿ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَٰذِبِينَ ﴾ فيما تدعونه[1].

فالآية الكريمة تضمنت بعض صور جدالهم مع نحو عليه السلام:

وأما باقي هذه الصور فقد تضمنها قول الله عز وجل: ﴿ فَقَالَ ٱلْمَلَؤُاْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِۦ مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ ... ﴾ الآية.

قال الملأ هذه المقالة بعدما دعاهم نوح عليه السلام إلى عبادة الله وحده، ولكنهم يكرهون ذلك لخوفهم من الدين الجديد الذي يزيل الفوارق ويعامل الناس على السواء، وهم لا يريدون ذلك، فكيف يخضعون لدين يجعل نوح رئيسهم وهم مرءوسون تابعون له، فأخذوا يثيرون الشبهات ضده ما يدفعهم إليها إلا الكبر والغرور والحقد والحسد فأخذوا يقولون: ما هذا إلا بشر مثلكم من عامتكم ولكنه يريد أن يتفضل عليكم، لو أراد الله إرسال رسول لأرسل ملائكة، وما نوح إلا رجل

(١) فتح القدير للشوكاني (٢/ ٥٠٦).

obeikandl.com

مجنون فانتظروا حتى يكشف ما به[١].

﴿ فَقَالَ ٱلْمَلَؤُاْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾ عطف هنا جواب الملأ من قومه بالفاء لوجهين:

أحدهما: أنهم لم يوجهوا الكلام إليه بل تركوه وأقبلوا على قومهم يفندون لهم ما دعاهم إليه نوح.

الثاني: ليفاد أنهم أسرعوا بتكذيبه وتزييف دعوته قبل النظر.

ووصف الملأ بأنهم الذين كفروا للإيماء إلى أن كفرهم الذي أنطقهم.

﴿ مَا هَـٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ ﴾ كناية عن تكذيبه في دعوى الرسالة بدليل من ذاته بحجة أن المساواة في البشرية مانعة من الوساطة بين الله وخلقه.

﴿ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ ﴾ ما جاء برسالته إلا حبًا في أن يسود عليكم، فرؤساء القوم خافوا على سيادتهم القوم بدعوى نوح بالرسالة.

﴿ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَـٰٓئِكَةً ﴾ بعدما منعوا كون الرسول بشرًا قالوا: لو شاء الله إرسال رسول لأنزل ملائكة رسلاً.

﴿ مَّا سَمِعْنَا بِهَـٰذَا فِىٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ مستأنفة قصدوا بها تكذيب الدعوة بعد تكذيب الداعي.

﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌۢ بِهِۦ جِنَّةٌ فَتَرَبَّصُواْ بِهِۦ حَتَّىٰ حِينٍ ﴾ أمروا قومهم بانتظار ما ينكشف عن أمره بعد زمان، إما شفاء من الجنة فيرجع إلى الرشد، أو ازدياد الجنون فيتضح أمره فلا يعتد به[٢].

الرد على الشبهة التي أثارها قوم نوح في جدالهم معه:

بالطبع لم يقف نوح عليه السلام مكتوف الأيدي أمام هذه الشبهات التي أثارها

---

(١) انظر: التفسير الواضح، د/ محمد محمود حجازي، الجزء الثامن عشر (٢/ ١٣، ١٤)، القاهرة، دار التفسير، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م، باختصار وتصرف.

(٢) التحرير والتنوير، لابن عاشور، الجزء الثامن عشر (٩/ ٤٢، ٤٤) باختصار.

الملأ من قومه ولقد حكى القرآن الكريم رده عليه السلام عليهم:

الرد على شبهة البشرية:

قال تعالى: ﴿ قَالَ يَٰقَوۡمِ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّي وَءَاتَىٰنِي رَحۡمَةٗ مِّنۡ عِندِهِۦ فَعُمِّيَتۡ عَلَيۡكُمۡ أَنُلۡزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمۡ لَهَا كَٰرِهُونَ ﴾ [هود: ٢٨].

أي أخبروني إن كنت على برهان من ربي في النبوة يدل على صحتها مع كون ما جعلتموه قادحًا ليس بقادح في الحقيقة، فإن المساواة في صفة البشرية لا تمنع المفارقة في صفة النبوة.

﴿ وَءَاتَىٰنِي رَحۡمَةٗ مِّنۡ عِندِهِۦ ﴾ هي النبوة أو المعجزة ﴿ فَعُمِّيَتۡ عَلَيۡكُمۡ ﴾ فعماها الله عليكم، ﴿ أَنُلۡزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمۡ لَهَا كَٰرِهُونَ ﴾ أي أيمكننا أن نضطركم إلى العلم بها، والحال أنكم لها كارهون غير متدبرين فيها؛ فإن ذلك لا يقدر عليه إلا الله[(١)]، فهل يساغ لكم أن تجعلوا بشرية الرسول عقبة في سبيل اعتناقكم للرسالة.

الرد على شبهتهم في أن النبي يكون ملكًا:

لقد احتج قوم نوح في جدالهم مع نوح عليه السلام أن النبي يكون ملكًا وليس بشرًا، فلو شاء الله إرسال أحد لأرسل ملائكة ﴿ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةٗ ﴾ [المؤمنون: ٢٤].

فرد عليهم نوح عليه السلام بما حكاه القرآن الكريم: ﴿ أَوَعَجِبۡتُمۡ أَن جَآءَكُمۡ ذِكۡرٞ مِّن رَّبِّكُمۡ عَلَىٰ رَجُلٖ مِّنكُمۡ لِيُنذِرَكُمۡ وَلِتَتَّقُواْ وَلَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ﴾ [الأعراف: ٦٣]، أي لا تعجبوا من هذا، فإن هذا ليس بعجيب أن يوحي الله إلى رجل منكم رحمة بكم ولطفًا وإحسانًا إليكم لينذركم ولتتقوا نعمة الله ولا تشركوا به[(٢)].

ووجه الرحمة في كون الرسول من البشر وليس من الملائكة: أن البشر في حالتهم العادية غير مستعدين لرؤية الملائكة في حالتهم التي خلقوا عليها، ولهذا لو أرسل الله

---

(١) فتح القدير (٢/ ٥٠٦، ٥٠٧) باختصار.

(٢) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (٢/ ٢٢٣).

تعالى رسولاً من الملائكة لجعله في صورة رجل حتى يمكن للبشر أن يروه ويسمعوا منه، وعند ذلك يعتقدون أنه بشر وليس ملك فلا يتحقق ما يريدونه من أن يكون الرسول ملكًا.

قال تعالى: ﴿ وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَٰهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ ﴾ [الأنعام: ٩].

أي لو جعل الله تعالى الرسول المبعوث إلى البشر ملكًا، لجعل الله تعالى هذا الملك متمثلاً في صورة بشر لتمكينهم من رؤيته، وسماع كلامه الذي يبلغه من الله تعالى، ولو جعله الله تعالى ملكًا في صورة بشر لاعتقدوا أنه بشر، وحينئذ يقعون في نفس اللبس في استنكارهم كون الرسول بشرًا(١).

الرد على شبهتهم في أن الأرذلين هم أتباع نوح:

قال تعالى على لسان نوح عليه السلام: ﴿ وَيَٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا ۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ۚ إِنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ رَبِّهِمْ وَلَٰكِنِّىٓ أَرَىٰكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ﴿٢٩﴾ وَيَٰقَوْمِ مَن يَنصُرُنِى مِنَ ٱللَّهِ إِن طَرَدتُّهُمْ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣٠﴾ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ إِنِّى مَلَكٌ وَلَآ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِىٓ أَعْيُنُكُمْ لَن يُؤْتِيَهُمُ ٱللَّهُ خَيْرًا ۖ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِىٓ أَنفُسِهِمْ ۖ إِنِّىٓ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [هود: ٢٩-٣١].

والمعنى: أن نوحًا عليه السلام قال لقومه: أنا لا أطلب مالاً منكم على تبليغكم رسالة ربي حتى يتفاوت الحال عندي بسبب كون المستجيب للدعوة فقيرًا أو غنيًا، وإذا كان الأمر كذلك فسواء كانوا فقراء أم أغنياء فأنا أدعوهم، فمن يستجب فهو من أتباعي وجلسائي فقيرًا كان أو غنيًا، وكأن القوم سألوا نوحًا عليه السلام أن يطرد الذين آمنوا من مجلسه، فقال لهم: ﴿ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ۚ إِنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ رَبِّهِمْ وَلَٰكِنِّىٓ أَرَىٰكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ﴾ أي ليس من شأني ولا بالذي يقع مني طرد الذين آمنوا من

(١) تفسير المنار، لرشيد رضا (٧/ ٢٦٠).

قربي وجواري، لاحتقاركم لهم ووصفكم إياهم بالأراذل جهلاً منكم بقدرهم ومنزلتهم عند الله الذي سيلاقونه، فيكون نوح عليه السلام قد قال هذا على وجه الإعظام لهم بلقاء الله عز وجل، ولمنزلتهم العالية عنده تعالى، ويمكن أن يكون نوح قال هذا على وجه الاختصام، أي لو فعلت ذلك وطردتهم من قربي ومن مجلسي لخاصموني عند الله تعالى، فيجازيهم على إيمانهم بأحسن الجزاء، ويجازي من طردهم بما يستحق من العقاب.

ثم أكد نوح عليه السلام هذا البيان بوجه آخر فقال: ﴿ وَلَآ أَقُولُ لَكُمۡ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ ﴾ أي كما لا أسألكم مالاً فكذلك لا أدعي أني أملك مالاً، ولا لي غرض في المال، لا أخذًا ولا دفعًا، ﴿ وَلَآ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ ﴾ حتى أصل به إلى ما أريد لنفسي، ولأتباعي، ﴿ وَلَآ أَقُولُ إِنِّي مَلَكٞ ﴾ حتى أتعظم بذلك عليكم، بل طريقي الخضوع والتواضع، ومن كان هذا شأنه وطريقه فإنه لا يستنكف عن مخالطة المؤمنين الفقراء والمساكين.

ثم أكد نوح عليه السلام عزمه على عدم طرد الذين آمنوا بقوله: ﴿ وَلَآ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزۡدَرِيٓ أَعۡيُنُكُمۡ لَن يُؤۡتِيَهُمُ ٱللَّهُ خَيۡرًاۖ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا فِيٓ أَنفُسِهِمۡۖ ﴾ وهذا كالدلالة على أنهم كانوا ينسبون أتباع نوح مع الفقر والذلة إلى النفاق، فقال إني لا أقول ذلك لأنه من باب الغيب، والغيب لا يعلمه إلا الله، وعلى هذا فأنا لا أقول عن هؤلاء الذين تحتقرونهم وتزدرونهم إنه ليس لهم عند الله ثواب على أعمالهم، فالله تعالى أعلم بما في نفوسهم، فإن كانوا مؤمنين باطنًا كما هو الظاهر من حالهم فلهم من الله حسن الجزاء، ولو ادعى لهم أحد بشر بعدما آمنوا لكان ظالمًا قائلاً ما لا علم له به[1].

---

(١) المستفاد من قصص الأنبياء للدعوة والدعاة، د/ عبد الكريم زيدان (١/ ١٤٠، ١٤١)، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م، وانظر: تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (٢/ ٤٤٣) باختصار وتصرف، والمنار لرشيد رضا (١٢/ ٥١، ٥٢) باختصار وتصرف.

الرد على شبهتهم أن لا فضل لنوح ولا للمؤمنين عليهم:

﴿ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَٰذِبِينَ ﴾ [هود: ٢٧]، وشبهتهم هذه تدل على جهلهم، ﴿ وَلَٰكِنِّيٓ أَرَىٰكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ﴾ لأن الفضيلة المعتبرة عند الله هي القرب من الله ومراقبته وتقواه وليست بالجاه ولا المال كما كانوا يزعمون، وإن كان الأمر كذلك فنوح وأتباعه هم أصحاب الفضل الذي لا يداني قال تعالى: ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ [الحجرات: ١٣].

كما أن قولهم في شبهتهم هذه ﴿ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَٰذِبِينَ ﴾ مبنية على الظن الذي لا أساس له من الصحة والذي يسقط أمام الحق الواضح، الذي يقبله العقل السليم(١).

الرد على شبهتهم في أن نوح يريد بدعوته أن يتفضل عليهم:

وشبهتهم هذه باطلة وزعمهم فاسد، فنوح عليه السلام كشأن الأنبياء يريد هدايتهم، وتبليغ رسالة الله عز وجل لهم، وهذا في مصلحتهم ومنفعتهم، ولا يريد أن يتفضل عليهم كما يقولون.

ولكنها شبهة أثاروها ليسوغوا معاندتهم له، ففي الحقيقة ما منعهم من اتباعه إلا الحقد والحسد والكبر، وحرصهم على رئاستهم الزائلة، وزعامتهم المزيفة.

كما أن قولهم «إن هو إلا رجل به جنة» قول باطل، لأنهم يعلمون كمال عقله، وأن الله لا يرسل مجنونًا(٢).

رابعًا: السخرية:

كانت وسيلة السخرية من وسائل الحرب النفسية التي استخدمها الملأ من قوم نوح عليه السلام معه، وتفننوا في استخدامها كشأن غيرهم من أعداء الحق في كل زمان ومكان.

---

(١) انظر المستفاد من قصص القرآن للدعوة والدعاة، د/ عبد الكريم زيدان (١/ ١٤٣، ١٤٤).
(٢) انظر المصدر السابق (١/ ١٤٤).

قال تعالى: ﴿ وَيَصْنَعُ ٱلْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِّن قَوْمِهِۦ سَخِرُواْ مِنْهُ ۚ قَالَ إِن تَسْخَرُواْ مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ﴿٣٨﴾ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴾ [هود: ٣٨-٣٩].

يقول العلامة الرازي في تفسيره لهاتين الآيتين: واختلفوا فيما لأجله كانوا يسخرون، وفيه وجوه:

الوجه الأول: أنهم كانوا يقولون: يا نوح كنت تدعي رسالة الله لك فصرت بعد ذلك نجارًا.

الوجه الثاني: أنهم كانوا يقولون له: لو كنت صادقًا في دعواك، لكان إلهك يغنيك عن هذا العمل الشاق.

الوجه الثالث: أنهم ما رأوا السفينة قبل ذلك وما عرفوا كيفية الانتفاع بها، وكانوا يتعجبون منه ويسخرون.

الوجه الرابع: أن تلك السفينة كانت كبيرة، وهو كان يصنعها في موضع بعيد عن الماء جدًا، وكانوا يقولون ليس هنا ماء، ولا يمكنك نقلها إلى الأنهار العظيمة، وإلى البحار، فكانوا يعدون ذلك من باب السفه والجنون.

الوجه الخامس: أنه لما طالت مدته مع القوم، وكان ينذرهم بالغرق، ما شاهدوا من ذلك المعنى خبرًا ولا أثرًا غلب على ظنونهم كونه كاذبًا في ذلك المقال، فلما اشتغل بعمل السفينة لا جرم سخروا منه، وكل هذه الوجوه محتملة[1].

فالأقوال التي ذكرها العلامة الرازي تبين لنا الكثير من صور السخرية التي اتبعها قوم نوح عليه السلام معه، مما يؤكد أثر السخرية على نفسه عليه السلام، فقد كانت سخريتهم استهزاء منه، وتسفيهًا له، وادعاء عليه بالجنون، ورميه بالكذب، واستبعادًا لما يخوفهم منه، وينذرهم عاقبته.

---

(١) مفاتيح الغيب للرازي (٨/ ٥٢٤).

كل هذا كان من وجوه سخرية قوم نوح عليه السلام منه فيا لصبر نوح، ويا لكونه مثلاً يحتذى في الصبر على الإيذاء واحتمال الأذى.

ولقد ورد في القرآن الكريم ما يفيد رد نوح عليه السلام عليهم في السخرية منه بما هو أبلغ وأقوى في الأثر، قال تعالى: ﴿ قَالَ إِن تَسْخَرُواْ مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ۝٣٨ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴾ [هود: ٣٨، ٣٩].

والمعنى: إن تسخروا منا لهذا العمل، ومباشرة أسباب الخلاص فإنا نسخر منكم لما أنتم فيه من الإعراض عن استدفاعه بالإيمان والطاعة، ومن الاستمرار على الكفر والمعاصي.

وإطلاق السخرية عليهم حقيقة وعليه عليه السلام للمشاكلة، لأنها لا تليق بالأنبياء عليهم السلام، وفسرها بعضهم بالاستجهال وهو مجاز؛ لأنه سبب للسخرية، فأطلقت السخرية وأريد سببها، وقيل ﴿ إِن تَسْخَرُواْ مِنَّا ﴾ في الدنيا، ﴿ فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ ﴾ في الآخرة، أو عند غرقكم.

ثم من جملة الرد:

﴿ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴾ أي يفضحه أو يذله أو يهلكه، وهو عذاب دائم ومستمر، وهو عذاب النار(١).

فإذا كان مصيركم هو ذاك، فاسخروا كيف شئتم فالعاقبة الحسنى للمؤمنين.

والتعبير بالمضارع هو الذي يعطي للمشهد حيويته وجدته، فنحن نراه ماثلاً لخيالنا من وراء هذا التعبير ﴿ وَيَصْنَعُ ٱلْفُلْكَ ﴾ ونرى الجماعات من قومه المتكبرين يمرون به فيسخرون، يسخرون من الرجل الذي كان يقول لهم إنه رسول ويدعوهم، ثم إذا هو ينقلب نجارًا يصنع مركبًا، إنهم يسخرون لأنهم لا يرون إلا ظاهر الأمر ولا

(١) روح المعاني للألوسي، الجزء الثاني عشر (٧/ ٧٥، ٧٦) باختصار وتصرف.

يعلمون ما وراءه من وحي وأمر، شأنهم دائمًا في إدراك الظواهر والعجز عن إدراك ما ورائها من حكمة وتقدير، فأما نوح فهو واثق عارف وهو يخبرهم في اعتزاز وثقة وطمأنينة واستعلاء بأنه يبادلهم سخرية بسخرية ﴿ قَالَ إِن تَسْخَرُواْ مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ﴾ .

نسخر منكم لأنكم لا تدركون ما وراء هذا العمل من تدبير الله وما ينتظركم من مصير، ﴿ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴾ أنحن أم أنتم يوم ينكشف المستور عن المحظور[1].

فالآيات الكريمة تصور لنا فرق الصراع وموقف كل فريق، إنهم فريقان لا ثالث لهما:

فريق يسخر عن جهل، ولا يرى إلا تحت قدميه، وفريق على نور من الله يبعث فيه الأمل، والثقة، والصبر فيعل غير مكترث لما يفعله الجهال، أو يقولونه، فهو يعلم أن النصر له، والدائرة على أعدائه، ينتظرهم العذاب الأليم في الدنيا والآخرة.

وفي المشهد الذي تصوره الآيات عبرة لأولي الألباب من أصحاب الحق في كل زمان ومكان، وهي عبرة لمن كان له عقل يفكر ليرى مصير كل فريق لكي يعلم مصير الفرق المشابهة على مر العصور.

خامسًا: التهديد:

كان نهاية المطاف في وسائل قوم نوح في حربهم النفسية ضده بعدما جربوا الكثير من الوسائل ففشلوا وسقط في أيديهم، لجأوا إلى التهديد له عليه السلام عسى أن يحطم معنوياته ويقلع عما هو عليه.

قال تعالى حكاية لما هددوه به ﴿ قَالُواْ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَـٰنُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمَرْجُومِينَ ﴾ [الشعراء: ١١٦] أي لئن لم تنته يا نوح عن سب آلهتنا وعيب ديننا لتكونن من المرجومين

(١) في ظلال القرآن (٤/ ١٨٧٧).

بالحجارة، وقال ابن عباس: من المقتولين[١].

وفي تفسير ابن كثير[٢] لهذه الآية: أي ﴿ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ ﴾ عن دعوتك إيانا إلى ذلك تكونن من المرجومين، أي لنرجمنك[٣].

والرجم: الرمي بالحجارة، وقد غلب استعماله في القتل بها[٤].

فما عساه أن يفعل تجاه هذا التهديد الشديد بالقتل والرجم؟ هل يقلع عما هو عليه، ويخافهم، ويخاف سطوتهم، أم هل يمضي في طريقه ولا يعبأ بهم؟

وللرد على هذا السؤال نتأمل قول الحق -عز وجل- على لسان نوح عليه السلام: ﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم مَّقَامِى وَتَذْكِيرِى بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوٓاْ أَمْرَكُمْ وَشُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ ٱقْضُوٓاْ إِلَىَّ وَلَا تُنظِرُونِ ﴾ [يونس: ٧١].

والمعنى: أي يا قوم إن كان كبر، أي شق وعظم عليكم قيامي، أي إذا ثقل عليكم قيامي أي بشيء فيكم، وتذكيري إياكم، وتخويفي لكم بعذاب الله، فأجمعوا ما تريدون من أمركم مع شركائكم الذين تعبدونهم من دون الله تعالى، ثم لا يكن أمركم عليكم غمة، أي ليكن أمركم ظاهرًا تتمكنون فيه مما شئتم لا كمن يخفى أمره فلا يقدر على ما يريد، ﴿ ثُمَّ ٱقْضُوٓاْ إِلَىَّ وَلَا تُنظِرُونِ ﴾ أي توجهوا إليّ ولا تؤخروني ساعة واحدة، أي

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٩/ ٤٨٣٧).

(٢) ابن كثير هو: إسماعيل بن عمر بن كثير بن ضوى الحافظ عماد الدين أبو الفداء، كان قدوة العلماء والحفاظ، وعمدة أهل المعاني والألفاظ، سمع الكثير وأقبل على حفظ المتون والرجال والتاريخ حتى بلغ في ذلك وهو شاب له مؤلفات عديدة، توفي سنة ٧٤٧هـ، انظر: طبقات المفسرين للنووي (١/ ١١١)، وإنباء الغمر بأبناء العمر في التاريخ لابن حجر، بيروت، لبنان، دار الكتب العلمية، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م (١/ ٣٩)، والبدر الطالع لمحاسن من بعد القرن التاسع للعلامة الشوكاني، القاهرة، مطبعة السعادة، ١٣٨٤هـ (١/ ١٥٣).

(٣) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (٣/ ٣٤١).

(٤) التحرير والتنوير، لابن عاشور، الجزء التاسع عشر (٩/ ١٦٣).

مهما قدرتم فافعلوا فإني لا أبالي بكم ولا أخافكم، لأنكم لستم على شيء وأنا متوكل ومعتمد على الله[١].

وهكذا يجيب صاحب الحق الذي يعرف قدر الحق الذي معه، فهو لا يرهب وعيدًا، ولا يخاف تهديدًا، فالله معه خير وكيل ونصير.

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (٢/ ٤٢٥)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٥/ ٣٢٠١، ٣٢٠٢)، ومحاسن التأويل للقاسمي (٩/ ٣٨٨٠، ٣٨٨١).

obeikandl.com

الحرب النفسية ضد أتباع نوح عليه السلام

ولم تقل الحرب النفسية ضد المؤمنين بشاعة وجرأة ووقاحة عن تلك التي كانت ضد نوح عليه السلام، والدافع الحقيقي وراء تلك الحرب هي أن أتباع الرسل دائمًا ما يكونون من الفقراء والمستضعفين.

من هنا اتخذ قوم نوح مبررًا للهجوم عليهم وعلى نوح ورسالته في نفس الوقت، إذ أنهم لم يتصوروا أن يكون هؤلاء الفقراء أسبق منهم إلى اتباع الخير والحق والعدل، ومع أن هذا شغب مرفوض، ودجل واضح إلا أنهم استغلوا ذلك في النيل من هذه العصبة المؤمنة التي لا تتجاوز العدد القليل، كما يحكي القرآن الكريم ﴿ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ ﴾ [هود: ٤٠].

استغلوا ذلك في حربهم النفسية وبالغوا في الإساءة إليهم وتحقير شأنهم، ورميهم بالوضاعة، وقلة التدبير، والتروي، وانعدام التفكير، لقد عز عليهم أن يسبقهم الفقراء إلى النور وغالى بهم غرورهم عن معرفة وجه الحق والانصياع لأمر الله، فاتخذوا من لا شيء مطية إلى تحقيق أطماعهم، وإلى تحقيق دخائل نفوسهم، فشنوا حربًا نفسية شعواء ضد الأتباع المؤمنين، ويكفي في توضيح تلك الحرب التي شنها قوم نوح أن نقرأ الآيات التالية: ﴿ قَالُوٓاْ أَنُؤۡمِنُ لَكَ وَٱتَّبَعَكَ ٱلۡأَرۡذَلُونَ ﴾ [الشعراء: ١١١].

الاستفهام للإنكار، أي كيف نتبعك ونؤمن بك والحال أن قد اتبعك الأرذلون؟ وهم الأقلون جاهًا ومالاً، والرذالة: الخسة والذلة، استرذلوهم لقلة أموالهم وجاههم[١].

فهم يعنون بالأرذلين: الفقراء، وهم السابقون إلى الرسل والرسالات، وإلى الإيمان والاستسلام، لا يصدهم عن الهدى كبرياء فارغة، ولا خوف على مصلحة أو وضع، أو مكانة، ومن ثم فهم المسلمون السابقون، فأما الملأ من الكبراء فيقعد بهم كبرياؤهم،

(١) فتح القدير للشوكاني (٤/ ١٠٦) باختصار.

وتقعد بهم مصالحهم القائمة على الأوضاع المزيفة المستمدة من الأوهام والأساطير[١].

وقال الله تعالى على لسانهم: ﴿ وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ ٱلرَّأْيِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَٰذِبِينَ ﴾ [هود: ٢٧].

ولم يكتفوا في حربهم النفسية ضد أتباع نوح عليه السلام، بذلك بل صعدوا الأمر بأن طلبوا من نوح عليه السلام أن يطردهم فهو استعظموا أن يساويهم وهؤلاء الفقراء دين واحد، ولكنه عليه السلام رفض الاستجابة لهم في طلبهم بطرد المؤمنين، وهذا ما حكاه القرآن في قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ۚ إِنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمْ وَلَٰكِنِّيٓ أَرَىٰكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ﴾ [هود: ٢٩] فهذا الرد من نوح عليه السلام كان ردًا قاطعًا لآمالهم في أن يطرد نوح عليه السلام المؤمنين، وكيف يطردهم وهم المستجيبون لأمر الله المؤمنون به لمجرد طلبكم لذلك أيها الجاهلون المعاندون.

ثم يبالغ أهل الكفر في التنكيل بالأتباع مما يدل على أن نفوسهم قد طفحت من الحقد والكراهية والاحتقار والسخرية، فإذا هم يطلبون من نوح عليه السلام أن يقول لأتباعه المؤمنين، إن الله لن يوفقكم ولن يهديكم ولن يتقبل منكم، وانظر إلى نوح عليه السلام إذ يقول: ﴿ وَلَآ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِيٓ أَعْيُنُكُمْ لَن يُؤْتِيَهُمُ ٱللَّهُ خَيْرًا ۖ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِيٓ أَنفُسِهِمْ ۖ إِنِّيٓ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [هود: ٣١].

﴿ وَلَآ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِيٓ أَعْيُنُكُمْ ﴾ أي: تحتقرهم وتستصغرهم أعينكم، يعني المؤمنين، وذلك أنهم قالوا عنهم أراذلنا، ﴿ لَن يُؤْتِيَهُمُ ٱللَّهُ خَيْرًا ۖ ﴾ أي توفيقًا وإيمانًا وأجرًا[٢]، لن أقول ذلك إرضاء لكبريائكم أو مسايرة لتقديركم الأرضي وقيمكم العرضية.

﴿ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِيٓ أَنفُسِهِمْ ۖ ﴾ فليس لي إلا ظاهرهم، وظاهرهم يدعو إلى التكريم

(١) في ظلال القرآن، لسيد قطب (٥/ ٢٦٠٧).
(٢) معالم التنزيل للبغوي (٢/ ٣٨١).

وإلى الرجاء في أن يؤتيهم الله خيرًا[١] فإن ما أعده الله لهم في الآخرة خير مما آتاكم في الدنيا[٢].

﴿ إِنِّيٓ إِذٗا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ إن ادعيت أي دعوة من هذه الدعاوي[٣].

ولقد سن المخالفون لنوح عليه السلام سنة سيئة في الأزدراء من الأتباع المؤمنين، واحتقارهم، والمكر ضدهم، ومحاولة إبعادهم عن نبي الله نوح، وهو مكر مكره الكفار مع الرسول ﷺ.

وكما رفضه نوح عليه السلام ورده ردًا قاطعًا كما يبين قول الله عز وجل: ﴿ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۚ إِنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمۡ وَلَٰكِنِّيٓ أَرَىٰكُمۡ قَوۡمٗا تَجۡهَلُونَ ﴾ [هود: ٢٩].

كذلك أوحى الله إلى نبيه الكريم برفض طلب الكفار إبعاد الفقراء من المؤمنين من مجلسه ﷺ بقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَطۡرُدِ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ مَا عَلَيۡكَ مِنۡ حِسَابِهِم مِّن شَيۡءٖ وَمَا مِنۡ حِسَابِكَ عَلَيۡهِم مِّن شَيۡءٖ فَتَطۡرُدَهُمۡ فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [الأنعام: ٥٢].

فعلى الداعي المسلم والجماعة المسلمة الحذر من هذا المكر الخبيث من أهل الباطل المخالفين للدعوة الإسلامية وإن على الدعاة والجماعة المسلمة إظهار اعتزازهم باتباعهم المؤمنين، وإن كانوا فقراء أو مغمورين، أو أصحاب حرف بسيطة يستهين بها الناس، وإذا طلب أهل الباطل في جدالهم مع الدعاة أو مع الجماعة المسلمة رفض هذا الطلب رفضًا قاطعًا وباتًا وحالاً[٤] ولهم في نوح عليه السلام ومحمد ﷺ خير أسوة في ذلك.

وهكذا فقد كانت رحلة نوح عليه السلام مع قومه رحلة مريرة طويلة عصيبة

---

(١) في ظلال القرآن (٤/ ١٨٧٥).
(٢) أنوار التنزيل وأسرار التأويل، للبيضاوي (١/ ٤٥٥).
(٣) في ظلال القرآن (٤/ ١٨٧٥).
(٤) المستفاد من قصص الأنبياء للدعوة والدعاة (١/ ١٦١).

لاقى فيها الكثير من ألوان الحرب النفسية، ولذا لما نجاه الله عز وجل ومن معه من المؤمنين عبر عن إنجائهم بقوله: ﴿ وَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴾ [الصافات: ٧٦].

فهذه العبارة القوية توحي بضراوة ما كان يعانيه نوح عليه السلام من أول لحظة للدعوة في رميه بأنه على ضلال مبين، ومرورًا بوصفه بالجنون، واختلاق الأباطيل الواهية، ومجادلته حول حجج ساقطة، والتهوين من شأنه وشأن أتباعه، وتصعيدًا للموقف بتهديده بالقتل والرجم، والقضاء عليه نهائيًا.

فالملأ من قوم نوح عليه السلام لم يكفوا عن توجيه الحرب النفسية له حتى بعد أن يئس من إيمانهم، واشتغل بصنع السفينة، فتوجهوا إليه بالسخرية والاستهزاء منه، إنه حقًا كرب عظيم، وحرب نفسية شعواء لاقاها نوح عليه السلام، وهو أول رسول من ولد آدم، وهو في ذلك يضرب المثل لجميع الرسل من بعده.

ويضرب المثل للدعاة المصلحين على مر العصور، وكانت نهاية قصة نوح عليه السلام عبرة لأولي الألباب حيث نجاه الله عز وجل ومن معه من الفئة المؤمنة، وأغرق الله القوم الكافرين جزاء وفاقًا لما واجهوا به دعوة الحق على لسان نبيهم نوح عليه السلام.

openkandil.com

المبحث الثاني

الحرب النفسية ضد إبراهيم -عليه السلام- وكيف قاومها

obeikandl.com

obeikandl.com

سيدنا إبراهيم عليه السلام

نسبه: هو إبراهيم بن تاج بن ناحور بن ساروغ بن راغو بن فالغ بن عابر بن شالح بن أرفشذ بن سام بن نوح عليه السلام[١].

وإبراهيم هو الاسم العلم لخليل الرحمن أبي الأنبياء الأكبر من بعد نوح عليهما السلام.

ولد إبراهيم عليه السلام في أور الكلدانيين في العراق[٢] وأما أبوه فهو آزر كما ورد في القرآن الكريم[٣].

وكان قوم إبراهيم الذي ولد فيهم يعبدون الكواكب السيارة والأصنام[٤].

وقد دلت آثار أولئك القوم التي اكتشفت في العراق على صحة ما عرف في التاريخ على عبادتهم للأصنام الكثيرة كما ورد في القرآن الكريم، حتى كاد أن يكون لكل واحد منهم صنم خاص به سواء الملوك والسوقة في ذلك[٥].

وقد دعا إبراهيم عليه السلام قومه إلى عبادة الله وحده وترك عبادة الأصنام.

وقد عاب إبراهيم على قومه في العراق شركهم بالله، وعبادتهم للأصنام، وجادل أباه، وقومه في ذلك، ثم أراد أن يلفت الأنظار إلى باطل ما هم عليه من عبادة غير الله بما حاججهم به، وبتكسيره الأصنام إلا كبيرها، ولكن لم يرجعوا عن كفرهم وضلالهم، وإنما قرروا إحراقه بإلقائه في النار، ففعلوا ذلك، ونجاه الله تعالى، ثم خرج إبراهيم عليه السلام ومعه ابن أخيه لوط إلى أرض الشام إلى الأرض المقدسة منها[٦]، وهي فلسطين

---

(١) قصص الأنبياء لابن كثير (ص١٢٨).
(٢) تفسير المنار لمحمد رشيد رضا (٧/ ٤٤٠).
(٣) نفس المرجع السابق (٧/ ٤٤١).
(٤) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣/ ١٥١).
(٥) تفسير المنار، مرجع سابق (٧/ ٤٥٨).
(٦) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣/ ١٧٤، ١٨٥).

openkandil.com

وكانت أرض الكنعانيين.

وأقام في مدينة أشكيل وهي مدينة نابلس، ثم رحل إبراهيم عليه السلام إلى مصر ثم رجع إلى فلسطين[١] فأقام فيها مدة، وقد ولدت له زوجه هاجر ابنه إسماعيل، وقد خرج بها وبابنها إسماعيل وهو رضيع إلى مكة.

فقد جاء في صحيح البخاري عن ابن عباس: «**ثم جاء بها** -أي بهاجر أم إسماعيل- **وبابنها إسماعيل وهي ترضعه حتى وضعهما عند البيت، عند درجة فوق زمزم، في أعلى المسجد، وليس بمكة يومئذ أحد، وليس بها ماء، ووضع عندها جرابًا فيه تمر، وسقاء فيه ماء، ثم رجع إبراهيم عليه السلام، فتبعته أم إسماعيل، فقالت: يا إبراهيم أين تذهب وتتركنا في هذا الوادي الذي ليس به إنس ولا شيء؟ فقالت له ذلك مرارًا، وجعل لا يلتفت إليها، فقالت: آلله أمرك بهذا؟ قال: نعم، قالت: إذن لن يضيعنا**»[٢].

ثم عاد إبراهيم إلى مكة، وقد كبر إسماعيل فرأى إبراهيم عليه السلام ذبحه لرؤيا رآها ثم فداه الله عز وجل.

وقد اشترك إسماعيل مع أبيه في بناء البيت، وقد خص الله إبراهيم بفضله باتخاذه خليلاً، قال تعالى: ﴿ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبۡرَٰهِيمَ خَلِيلاً ﴾ [النساء: ١٢٥].

وإنما سمي إبراهيم خليلاً لشدة محبته عليه السلام لربه عز وجل، لما قام به من الطاعة التي يحبها الله ويرضاها، والخلة التي انتهى إليها إبراهيم عليه السلام هي أرفع مقامات المحبة.

ولم تثبت فضيلة «الخلة» إلا لإبراهيم عليه السلام كما ورد في كتاب الله عز وجل.

ولنبينا محمد ﷺ لما ثبت في صحيح مسلم أنه ﷺ خطب في الناس، فقال فيما قاله:

---

(١) قصص الأنبياء، تأليف عبد الوهاب النجار (ص٨٣).

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الأنبياء، باب (١١) (٤/ ١٧٣)، ط/ دار الشعب، بدون تاريخ.

«أما بعد أيها الناس فلو كنت متخذًا من أهل الأرض خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً ولكن صاحبكم خليل الله»[١].

ثم مات الخليل إبراهيم عليه السلام، ودفن في الموضع الذي قامت عليه مدينة الخليل في فلسطين[٢].

إبراهيم عليه السلام والحرب النفسية:

إبراهيم عليه السلام، هو أبو الأنبياء، وهو أحد أولي العزم من الرسل، وارتبطت هذه الصفة بمدى ما كان يعانيه من إيذاء واضطهاد وحرب نفسية، وصبره عليها، ومحاجته لقومه والذين فضلوا أن يظلوا عاكفين على عبادة الأصنام التي لا تنفع ولا تضر، ولا تسمع ولا تبصر، ولا تغني عن نفسها شيئًا فضلاً عن أن تغني عن غيرها.

والحرب النفسية ضد إبراهيم عليه السلام لم تكن هينة أو سهلة، وإنما كانت قاسية مؤلمة، وكانت تتسم بالجبروت والقسوة واستعمال القوة، وقد اتخذت هذه الحرب عدة وسائل منها:

أولاً: المجادلة، **ثانيًا: التهديد**

وسأوضح بإذن الله تعالى كل وسيلة على حدة:

أولاً: المجادلة:

والمجادلة وسيلة من وسائل الحرب النفسية التي استخدمها المشركون مع إبراهيم عليه السلام، ولو أنها كانت مجادلة في الحق، كان لا بأس بها، وإنما كانت مجادلة في الباطل وللباطل، قصد بها التشويش والتشويه ضد إبراهيم عليه السلام ودعوته.

---

(١) أخرجه الإمام مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل أبي بكر، حديث رقم (٦) (٤/ ١٨٥٥)، ط/ الحلبي، بتاريخ ١٣٧٥هـ/ ١٩٥٥م.

(٢) المستفاد من قصص الأنبياء للدعوة والدعاة، تأليف الدكتور/ عبد الكريم زيدان، ط/ مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى ١٩٩٧م، (١/ ١٩٢).

استخدمها الناس على عامتهم، واستخدمها ملكهم، مما يؤكد مبالغتهم في استخدام هذه الوسيلة ضد إبراهيم عليه السلام.

فكانت حربًا نفسية ضده عليه السلام تعددت جبهاتها، ولكنه بالحق الذي معه درأها وتغلب عليها، فصارت كأن لم تكن وكانت الغلبة في النهاية لإبراهيم عليه السلام وللحق الذي معه بإذن الله.

وقد جاءت المجادلة مشتملة على قسمين:

أ- مجادلة الملك، ب- مجادلة قومه،

أ- مجادلة الملك له:

لقد حكت آيات القرآن الكريم بما دار بين إبراهيم عليه السلام من جدال، قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [البقرة: ٢٥٨].

﴿ أَلَمْ تَرَ ﴾ بمعنى هل رأيت؟ أي هل رأيت الذي حاج إبراهيم، وهو النمرود بن كوس بن كنعان بن سام بن توم، قيل النمرود بن فالح بن عامر بن سالخ بن سام.

وقوله: ﴿ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ ﴾ أي لأن أتاه الله الملك، بمعنى أن إيتاء الملك أبطره وأدركه الكبر والعتو فحاج لذلك، أو على أن وضع الحجاجة التي هي أقبح وجوه الكفر موضع ما يجب عليه من الشكر، كما يقال: عاديتني لأني أحسنت إليك، أو وقت أن أتاه الله الملك[1].

﴿ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ﴾ فعن قتادة[2]

(١) فتح القدير للشوكاني (١/ ٣٥٢).

(٢) هو قتادة بن دعامة بن قتادة بن عزيز السدوسي الحافظ العلامة المفسر، حدث عن كثيرين وكان

أنه قال: كنا نحدث أنه ملك يقال له نمرود بن كنعان، وهو أول ملك تجبر في الأرض وهو صاحب الصرح ببابل، ذكر لنا لأنه دعا برجلين فقتل أحدهما واستحيا الآخر، فقال أنا أقتل من شئت وأحيي من شئت[١].

فإبراهيم عليه السلام أراد بمقولته أن الله هو الذي يخلق الحياة والموت في الأجساد، وأراد الكافر: إنه يقدر أن يعفو عن القتل، ويكون ذلك إحياء، وعلى أن يقتل فيكون ذلك إماتة، فكان هذا جوابًا أحمقًا لا يصح نصبه في مقابلة محجة إبراهيم[٢].

ولما كان رد النمرود في منتهى المغالطة، انتقل إبراهيم عليه السلام إلى حجة أخرى يفحمه بها، ولا يستطيع الرد ولا الجدال، فقال كما جاء على لسانه في القرآن: ﴿ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأۡتِي بِٱلشَّمۡسِ مِنَ ٱلۡمَشۡرِقِ فَأۡتِ بِهَا مِنَ ٱلۡمَغۡرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِي كَفَرَۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [البقرة: ٢٥٨].

﴿ فَبُهِتَ ﴾ أي بقي مغلوبًا، لا يجد مقالاً، ولا للمسألة جوابًا[٣].

﴿ فَبُهِتَ ٱلَّذِي كَفَرَۗ ﴾ وكان أولى به أن يهتدي ويسلم لأمر واضح الظهور والجلاء وجدير بأن يؤمن به، ولكنه أبى الرجوع إلى الحق والإذعان به، والتسليم له، فكان التصميم على الكفر، فبهت وتحير لزم الضلال.

ب- جدال قومه له:

وإن كان هذا هو جدال الملك مع إبراهيم فإنه لم يكن الجدال الوحيد، بل جادله عامة قومه ليؤكد ذلك أن وسيلة الجدال قد استخدمت من جبهات العداء المختلفة ضد

=

أحفظ أهل البصرة، لا يسمع شيئًا إلا حفظه، توفي سنة ثماني عشر، وقيل سبع عشر ومائة، انظر: طبقات المفسرين للداودي (٢/ ٤٧)، وتذكرة الحفاظ للذهبي (٤/ ٥٤٠).

(١) الدر المنثور للسيوطي (١/ ٣٣١).

(٢) فتح القدير للشوكاني (١/ ٣٥٢).

(٣) تفسير مفاتيح الغيب للرازي (٣/ ٥٦٦).

إبراهيم عليه السلام.

وقد بين القرآن الكريم ذلك، فقال تعالى: ﴿ وَحَآجَّهُۥ قَوۡمُهُۥۚ قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّي فِي ٱللَّهِ وَقَدۡ هَدَىٰنِۚ وَلَآ أَخَافُ مَا تُشۡرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّي شَيۡـٔٗاۗ وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيۡءٍ عِلۡمًاۗ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴾ [الأنعام: ٨٠].

﴿ وَحَآجَّهُۥ قَوۡمُهُۥۚ ﴾ دليل على الحجاج والجدال، حاجوه في توحيد الله(١).

والمحاجة مفاعلة متصرفة من الحجة، وهي الدليل المؤيد للدعوى.

والمعنى أنهم سلكوا معه طريق الحجة على صحة دينهم أو على إبطال معتقده، وهو يسمع، فجعل سماعه كلامهم بمنزلة جواب منه فأطلق على ذلك كلمة المحاجة(٢).

وحذف متعلق «حاجه» لدلالة المقام، ودلالة ما بعده عليه من قوله ﴿ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّي فِي ٱللَّهِ ﴾.

وقد ذكرت حججهم في مواضع من القرآن منها قوله تعالى في سورة الأنبياء ﴿ إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوۡمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِيٓ أَنتُمۡ لَهَا عَٰكِفُونَ ﴾ [الأنبياء: ٥٢] ويدخل في الحجاجة ما ليس بحجة ولكنه مما يرونه حججًا بأن خوفوه غضب آلهتهم كما يدل عليه قوله تعالى على لسان سيدنا إبراهيم ﴿ وَلَآ أَخَافُ مَا تُشۡرِكُونَ بِهِۦٓ ﴾.

وقوله تعالى على لسان سيدنا إبراهيم: ﴿ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّي فِي ٱللَّهِ ﴾ أي أتجادلونني في توحيد الله وقد هداني للتوحيد والحق.

﴿ وَلَآ أَخَافُ مَا تُشۡرِكُونَ بِهِۦٓ ﴾ وذلك لأنهم قالوا له احذر الأصنام فإنا نخاف أن تمسك بسوء من خبل أو جنون لعيبك إياها(٣).

فكان رد إبراهيم عليه السلام عليهم إني لا أرهب آلهتكم، ولا أخافها؛ لأنها لا

---

(١) الجامع لأحكام القرآن الكريم للقرطبي (٤/ ٢٤٦٥).

(٢) التحرير والتنوير لابن عاشور الجزء السابع (٤/ ٣٢٦).

(٣) معالم التنزيل للبغوي (٢/ ١١١).

تضر ولا تنفع[١] فكان هذا ردًا على تخويفهم له من آلهتهم.

ثم بالغ في الرد ليبين لهم أنهم الأحق بالخوف، فقال لهم: ﴿ وَكَيۡفَ أَخَافُ مَآ أَشۡرَكۡتُمۡ ﴾ من الأصنام وهي لا تبصر ولا تسمع ولا تضر ولا تنفع[٢] وهي مأمونة الخوف[٣].

﴿ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمۡ أَشۡرَكۡتُم بِٱللَّهِ مَا لَمۡ يُنَزِّلۡ بِهِۦ عَلَيۡكُمۡ سُلۡطَٰنٗاۚ ﴾ أي حجة وبرهانًا وهو القاهر القادر على كل شيء.

﴿ فَأَيُّ ٱلۡفَرِيقَيۡنِ أَحَقُّۚ ﴾ أولى ﴿ بِٱلۡأَمۡنِۖ ﴾ أنا وأهل ديني أم أنتم، ﴿ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴾ إن كان لكم عقل وعلم تستطيعون بهما التمييز لكان منهما الهداية لكم إلى الحق، وهو أنني على الحق الذي هو أحق أن يتبع أما أنتم فعلى باطل[٤].

وهكذا تستخدم الجبهات المختلفة الجدال بالباطل كوسيلة من وسائل الحرب النفسية ضد إبراهيم عليه السلام لينالوا منه، ولكن هيهات فهو لم يتأثر بجدالهم، بل واستخدم نفس الأسلوب معهم، ولكن شتان ما بين جدال لهداية الناس إلى الحق وهو جدال محمود، وهو جدال سيدنا إبراهيم عليه السلام، وجدال يعمي الناس عن الحق وهو جدال النمرود وقومه.

وآيات القرآن الكريم تشهد بالحجج الواضحات التي استخدمها إبراهيم عليه السلام ليأخذ بيد قومه من الظلمات إلى النور، ونجح في أن يمس نفوسهم وضمائرهم، ولكنهم نكسوا على رؤوسهم، وأصروا على الباطل الذي يعيشون فيه.

وهذا ما يشهد له قول الله عز وجل بعد حكاية ما دار بين إبراهيم وقومه من إقناع

---

(١) زاد المسير لابن الجوزي (٣/ ٧٦) باختصار وتصرف.
(٢) معالم التنزيل للبغوي (٢/ ١١٢).
(٣) محاسن التأويل للقاسمي (٦/ ٢٣٨٧).
(٤) معالم التنزيل مرجع سابق (٢/ ١١٢).

لهم ببطلان عبادتهم للأصنام، حيث يقول الله عز وجل حكاية عنهم ﴿ فَرَجَعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ فَقَالُوٓاْ إِنَّكُمۡ أَنتُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٦٤﴾ ثُمَّ نُكِسُواْ عَلَىٰ رُءُوسِهِمۡ لَقَدۡ عَلِمۡتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ ﴾ [الأنبياء: ٦٤، ٦٥].

وهكذا فالحق دائمًا واضح ظاهر، تقتنع به ضمائر الناس المؤيد منهم والمعارض، ولكن المعارض تتكبر نفسه، ويأبى أن يذعن له ويخضع لسلطانه.

ثانيًا: التهديد:

وسيلة أخرى من وسائل الحرب النفسية التي استخدمها أعداء الهدى والحق مع إبراهيم عليه السلام.

ولعلها أشد من سابقتها إيلامًا نفسيًا على إبراهيم عليه السلام لتعدد الجبهات المستخدمة لها وهي:

أ- تهديد أبوه له، ب- تهديد قومه له،

أ- تهديد أبيه:

فلقد هدده أبوه بعد رحلة طويلة من الدعوة إلى الله بالرفق واللين والعطف والحنان.

وكان الجواب بعد هذه الرحلة ما حكاه القرآن الكريم في قوله تعالى على لسان أبي إبراهيم ﴿ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنۡ ءَالِهَتِي يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُۖ لَئِن لَّمۡ تَنتَهِ لَأَرۡجُمَنَّكَۖ وَٱهۡجُرۡنِي مَلِيّٗا ﴾ [مريم: ٤٦].

يقول العلامة الرازي عند تفسيره لهذه الآية: اعلم أن إبراهيم عليه السلام لما دعا أباه إلى التوحيد، وذكر الدلالة على فساد عبادة الأوثان، وأردف تلك الدلالة بالوعظ البليغ وأورد كل ذلك مقرونًا باللطف والرفق، قابله أبوه بجواب يضاد ذلك، فقابل حجته بالتقليد، فإنه لم يذكر في مقابلة حجته إلا قوله: ﴿ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنۡ ءَالِهَتِي يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُۖ ﴾ فأصر على ادعاء آلهيتها جهلاً وتقليدًا، وقابل وعظه بالسفاهة حيث هدده

بالضرب والشتم.

قابل رفقه في قوله: ﴿ يَٰٓأَبَتِ﴾ بالعنف حيث لم يقل يا بني بل قال[١]: ﴿ يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ ﴾ .

ولقد هدده أبوه بالرجم حيث قال: ﴿ لَأَرۡجُمَنَّكَ ﴾ بالشتم والقول قاله ابن عباس ومجاهد أو بالحجارة ﴿ وَٱهۡجُرۡنِي مَلِيّٗا ﴾ اهجرني طويلاً أو اهجرني سليمًا قبل أن تصيبك عقوبتي[٢].

وهكذا يتلقى إبراهيم التهديد بالرجم والعقوبة والشتم من أقرب الناس إليه من أبيه الذي طالما دعاه بالرفق واللين، فما كان منه إلا الغلظة والفظاظة، إنها حقًا حرب نفسية شديدة على إبراهيم عليه السلام.

ب- تهديد قومه:

وإمعانًا في استخدام هذه الوسيلة من الجبهات المعادية لإبراهيم عليه السلام لم يقتصر الأمر عند تهديد أبيه له، بل تمادى حتى وصل إلى تهديد القوم له.

فقد هددوه بالقتل أو التحريق، قال تعالى حكاية عن قوم إبراهيم: ﴿ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوۡمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُواْ ٱقۡتُلُوهُ أَوۡ حَرِّقُوهُ ﴾ [العنكبوت: ٢٤] إنه خطاب لإبراهيم عليه السلام، أي قال: بعضهم لبعض عند المشاورة بينهم: افعلوا بإبراهيم أحد الأمرين المذكورين[٣].

ولقد كشف القرآن عن غرضهم من تهديده حيث قال: ﴿ فَأَرَادُواْ بِهِۦ كَيۡدٗا ﴾ [الصافات: ٩٨].

والمعنى أنه لما قهرهم بالحجة قصدوا تعذيبه بذلك لئلا يظهر للعامة عجزهم.

---

(١) تفسير مفاتيح الغيب للرازي (١/ ٤٧١).

(٢) زاد المسير لابن الجوزي (٥/ ٢٣٧)، وانظر: تفسير ابن عباس (ص٣٣٤)، تحقيق راشد عبد المنعم الرجال، ط/ مؤسسة الكتب الثقافية، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م.

(٣) فتح القدير للشوكاني (٤/ ١٩٢).

﴿ فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَسْفَلِينَ ﴾ أي الأذلين بإبطال كيدهم وجعله برهانًا نيرًا على علو شأنه، حيث جعل النار عليه بردًا وسلامًا[١].

قال تعالى: ﴿ وَأَرَادُواْ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ ﴾ [الأنبياء: ٧٠].

يقول العلامة أبي السعود في تفسيره لقوله تعالى: ﴿ قَالُواْ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓاْ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴾ [الأنبياء: ٦٨].

﴿ قَالُواْ ﴾ أي قال بعضهم لبعض لما عجزوا عن المحاجة وضاقت عليهم الحيل، وعيت بهم العلل، وهكذا ديدن المبطل المحجوج إذا قرعت شبهتهم بالحجة القاطعة وافتضح لا يبقى له مفزع إلا المناصبة ﴿ حَرِّقُوهُ ﴾ فإنه أشد العقوبات، ﴿ وَٱنصُرُوٓاْ ءَالِهَتَكُمْ ﴾ بالانتقام لها.

﴿ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴾ أي للنصر أو بشيء يعتد به، قيل القائل نمرود بن كنعان، وقيل رجل من أكراد فارس اسمه هيون، وقيل: هدير خسفت به الأرض.

فيا للعجب ينتقمون هم لآلهتهم، أما كان أولى بها أن تنتقم لنفسها إنها مهانة وذلة لهم تنطق بها ألسنتهم، إنهم هم المنتقمون لآلهتهم بدلاً من أن تنتقم لنفسها ولهم مما لحق بها.

ولم يدع الله سبحانه نبيه بل جعل الناس عليه بردًا وسلامًا.

وانتقم ممن كادوا له، قال تعالى: ﴿ وَأَرَادُواْ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ ﴾ [الأنبياء: ٧٠]، وقيل معناه: أنهم خسروا السعي والنفقة ولم يحصل لهم مرادهم.

وقيل معناه: إن الله عز وجل أرسل على النمرود وأهله البعوض فأكلت لحومهم وشربت دماءهم، ودخلت واحدة في دماغه فأهلكته[٢].

إبراهيم الأسوة الحسنة:

---

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي (٢/ ٢٩٨).

(٢) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب، الحكيم لأبي السعود (٣/ ٥٢٦).

obeikandi.com

عندما ينتشر الباطل مزهوًا بما يملك من مال وعتاد، فقد وجب على أهل الحق أن يظهروا بمظهر القوة المعبر عن الحق في جماله وجلاله، ويرحم الله كل مؤمن يرى المبطلين من نفسه قوة.

قوة تكسر شوكتهم، ثم تهوى بهم في حضيض الذل، في الوقت الذي يبلغ فيه غرورهم مداه، وهذا ما فعله إبراهيم عليه السلام حين ضرب الأصنام، وبقوة أطارت صواب القوم الذين عادوا من سهرتهم الماجنة ليروا أصنامهم جذاذًا.

وهو درس من دروس الدعوة يلقنه عليه السلام مَنْ بعده... لتنهض أمة الإسلام في مواجهة الكفار صلبة الإرادة[1].

وهكذا فالنجاح دائمًا وبعد ضراوة الحرب النفسية وشراستها من نصيب الفريق الذي يؤيد الحق ويسعى له، فهذه هي سنة الله في خلقه، يدور الحق والباطل في حلبة الصراع، وتدور الحرب سجال وقد ينتصر الباطل في أول الأمر ولكنه انتصار مؤقت، أو إن أردت فقل هو إمهال مؤقت يليه النتيجة الحاسمة وهي انتصار الحق وآله.

(١) أصول الدعوة من قصة سيدنا إبراهيم عليه السلام، د/ محمد محمود محمد عمارة (ص٦١)، ط/ مكتبة الإيمان.

obeikandl.com

المبحث الثالث

الحرب النفسية ضد موسى عليه السلام وكيف قاومها

obeikandl.com

سيدنا موسى عليه السلام

نسبه:

هو موسى بن عمران بن قاهث بن عازر بن لادي بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام[١].

وأخوه هو هارون عليه السلام الذي بعثه الله عضدًا ومعينًا لموسى حين أراد الله أن يبعثه إلى فرعون لتبليغ رسالة الله، وكان ذلك بدعوة دعى بها موسى ربه، قال تعالى: ﴿وَٱجۡعَل لِّي وَزِيرٗا مِّنۡ أَهۡلِي ٢٩ هَٰرُونَ أَخِي﴾ [طه: ٢٩-٣٠].

ولادته:

ولد موسى عليه السلام في عهد الطاغية الأكبر فرعون عدو الله، الذي اشتهر بالطغيان والجبروت فنازع الله في ملكه، وادعى الربوبية وأعلن التمرد والعصيان وزعم أنه هو الإله المعبود من دون الله، واسم الطاغية الوليد بن مصعب ولقبه فرعون، وفرعون لقب كل من ملك أرض مصر من الجبابرة، كما أن كسرى لقب لكل من ملك بلاد فارس، وقيصر لقب لكل من ملك بلاد الروم.

مدة ملك فرعون:

عمر فرعون مدة تزيد على أربعمائة سنة في بني إسرائيل وهو يسومهم سوء العذاب فيسخرهم ويستخدمهم في أخس الأعمال وأحقرها، وقد صنفهم أصنافًا، فصنف يبنون، وصنف يحرثون، وصنف يتولون الأعمال القذرة، ومن لم يكن أهلاً للعمل فعليه الجزية.

فلما أراد الله سبحانه وتعالى أن يفرج عن بني إسرائيل بعث إليهم موسى عليه السلام لينقذهم من شر هذا الطاغية الجبار، ويخلصهم من ظلمه وطغيانه، فكانت بعثة موسى عليه السلام رحمة لبني إسرائيل وإنقاذًا لهم من ظلم ذلك الجبار العنيد.

---

(١) قصص الأنبياء لابن كثير (ص٢٩٦).

obeikandl.com

الرؤيا المنامية:

وذكر أن فرعون رأى في منامه كأن نارًا أقبلت من بيت المقدس إلى بلاد مصر فأحرقتها وأحرقت القبط، وتركت بني إسرائيل، فأفزعته تلك الرؤيا، ودعا الكهنة فقالوا له: سيولد في بني إسرائيل غلام يكون هلاك ملكك على يديه، وهذا هو زمانه، فأمر فرعون بتقتيل الذكور من بني إسرائيل، وفي ذلك[1] يقول الله تعالى: ﴿ وَإِذْ نَجَّيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴾ [البقرة: ٤٩].

وكان فرعون مصر يقتل الذكور من بني إسرائيل حين ولادتهم، فلما ولد موسى خافت عليه أمه من القتل فألقى الله في قلبها أن أرضعيه فإذا خفت عليه فألقيه في اليم أي في البحر وهو نهر النيل، وهكذا فعلت إذ وضعته في تابوت وألقته في نهر النيل، ووصل إلى امرأة فرعون[2]، وفي ذلك يقول الله تعالى: ﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ ۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٧﴾ فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا ۗ إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا۟ خَٰطِـِٔينَ ﴿٨﴾ وَقَالَتِ ٱمْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّى وَلَكَ ۖ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ [القصص: ٧-٩].

عندما قالت امرأة فرعون قرة عين لي ولك، قال لها قرة عين لك، قيل، ولو قال لي لهداه الله، وعاش موسى عليه السلام في بيت فرعون، وقد ألقى الله محبته في قلب آسية كما أحبه فرعون، وعطف عليه، وهو تصديق لقوله تعالى: ﴿ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّى ﴾ [طه: ٣٩] وأخذت آسية تبحث له عن مرضعة عندما اشتد به الجوع فلم يقبل ثدي أحد، ورأت أخت موسى ذلك وهي ترقبه، فعرضت على امرأة فرعون أن تأتي لها بامرأة

---

(١) النبوة والأنبياء (ص٢٢٦-٢٢٨) باختصار.

(٢) المستفاد من قصص الأنبياء (١/ ٣٠٣) مرجع سابق.

مرضعة فقالت امرأة فرعون إن أخذ ثديها أكرمتها فلما وضعته أمه في حجرها التقم ثديها وأخذ يرضع من لبنها حتى ارتوى ففرحت آسية وقال لأم موسى اجلسي معنا في القصر، فأبت وطلبت من آسية أن تأخذ الرضيع إلى بيتها فوافقت على ذلك، وفي ذلك يقول الله تعالى: ﴿ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَٰرِغًا ۖ إِن كَادَتْ لَتُبْدِى بِهِۦ لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠﴾ وَقَالَتْ لِأُخْتِهِۦ قُصِّيهِ ۖ فَبَصُرَتْ بِهِۦ عَن جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١١﴾ ۞ وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰٓ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُۥ لَكُمْ وَهُمْ لَهُۥ نَٰصِحُونَ ﴿١٢﴾ فَرَدَدْنَٰهُ إِلَىٰٓ أُمِّهِۦ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [القصص: ١٠-١٣].

وشب موسى في بيت فرعون وعاش فيه معززًا مكرمًا، وكان يعيش عيشة أبناء الملوك فيركب مراكب فرعون ويلبس ما يلبس فرعون، وكان الناس يدعونه موسى بن فرعون، وترعرع موسى حتى إذا بلغ أشده دخل ذات يوم من الأيام المدينة وبينما هو يتجول في المدينة إذ برجلين يقتتلان أحدهما من بني إسرائيل وآخر قبطي من آل فرعون وقد اعتدى القبطي على الإسرائيلي، واستغاثه الإسرائيلي ليخلصه من شر ذلك القبطي فأقل نحوه موسى يريد أن يمنعه عن الاعتداء فوكزه موسى أي ضربه بمجمع يده فخر القبطي على الأرض ميتًا لا حراك فيه ولم يرد موسى قتله وإنما أراد إبعاده فكانت القاضية، فحزن موسى على قتله وندم على ما حدث وتنحى يستغفر الله، ولم يكن أحد رآه حين قتل القبطي إلا الله والإسرائيلي.

وأصبح موسى خائفًا يترقب وبينما هو يمر في شوارع المدينة إذ به يجد الإسرائيلي قد تشاجر مرة أخرى مع فرعوني ويستغيث بموسى مرة ثانية فذهب إليه موسى ليفتك بالفرعوني، ولكن الإسرائيلي ظن أنه يريده هو، فقال له: ﴿ يَٰمُوسَىٰٓ أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِى كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًۢا بِٱلْأَمْسِ ۖ ﴾ فوصلت الكلمات إلى فرعون فأخذ يبحث عن موسى ليقتله، فأخبر موسى رجل من آل فرعون يسمى حزقيل يكتم إيمانه بأن فرعون يريد

قتله، فخرج موسى هاربًا إلى أرض مدين، ودعى ربه أن يهديه الطريق ويأخذ العيون حتى لا يبصره أحد من أعدائه[١]، حيث صور القرآن الكريم تلك الأحاديث في الآيات التالية كما في قوله تعالى: ﴿وَدَخَلَ ٱلْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِۦ ۖ فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ ۖ قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۖ إِنَّهُۥ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى فَٱغْفِرْ لِى فَغَفَرَ لَهُۥٓ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦﴾ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ ﴿١٧﴾ فَأَصْبَحَ فِى ٱلْمَدِينَةِ خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا ٱلَّذِى ٱسْتَنصَرَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُۥ ۚ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰٓ إِنَّكَ لَغَوِىٌّ مُّبِينٌ ﴿١٨﴾ فَلَمَّآ أَنْ أَرَادَ أَن يَبْطِشَ بِٱلَّذِى هُوَ عَدُوٌّ لَّهُمَا قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِى كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًۢا بِٱلْأَمْسِ ۖ إِن تُرِيدُ إِلَّآ أَن تَكُونَ جَبَّارًا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِينَ ﴿١٩﴾ وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَٱخْرُجْ إِنِّى لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢٠﴾ فَخَرَجَ مِنْهَا خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ ۖ قَالَ رَبِّ نَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [القصص: ١٥-٢١].

وصول موسى عليه السلام إلى مدين:

عندما وصل موسى إلى أرض مدين وجد أناسًا يسقون ووجد امرأتين تزودان أي تمنعان غنمهما عن الماء، فلما رآهما موسى عليه السلام رق لهما ورحمهما، وذهب إليهما وسقى لهما، وفي ذلك يقول الله تعالى: ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ ۖ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا ۖ قَالَتَا لَا نَسْقِى حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُ ۖ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿٢٣﴾ فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّى لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَىَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ [القصص: ٢٣-٢٤].

وعندما قصت البنتان على أبوهما الخبر أمر باستدعاء موسى ليشكره على فعله،

(١) النبوة والأنبياء (ص٢٣٢).

وقص موسى عليه خبره فقال له: لا تخف، وعرض عليه الزواج من إحدى ابنتيه على أن يعمل معه مدة من الزمن، فعمل معه موسى مدة عشر سنين.

قال تعالى: ﴿ قَالَ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَنۡ أُنكِحَكَ إِحۡدَى ٱبۡنَتَيَّ هَٰتَيۡنِ عَلَىٰٓ أَن تَأۡجُرَنِي ثَمَٰنِيَ حِجَجٖۖ فَإِنۡ أَتۡمَمۡتَ عَشۡرٗا فَمِنۡ عِندِكَۖ وَمَآ أُرِيدُ أَنۡ أَشُقَّ عَلَيۡكَۚ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ [القصص: ٢٧].

رجوع موسى إلى مصر:

بعد أن أمضى موسى عليه السلام السنوات العشر في أرض مدين، حن قلبه إلى وطنه فعزم على الرجوع إلى مصر مع أهله، وولده وبينما هو في الطريق في ليلة مظلمة باردة تاه في الطريق فلم يهتد إلى السلوك في الدرب المألوف وجعل يوري زناده فلا يقدح شيئًا، واشتد الظلام، والبرد وكانت امرأته حاملاً وقد قرب أوان وضعها فتحير وبينما هو كذلك آنس من جانب الطور نورًا، فحسبه نارًا ﴿ إِذۡ رَءَا نَارٗا فَقَالَ لِأَهۡلِهِ ٱمۡكُثُوٓاْ إِنِّيٓ ءَانَسۡتُ نَارٗا لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنۡهَا بِقَبَسٍ أَوۡ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدٗى ﴾ [طه: ١٠] أي ابقوا هنا حتى آتيكم بقطعة من هذه النار تستدفئون بها، فعندما وصل إليها سمع خطاب الله عز وجل بأمره أن يخلع نعليه ثم يدخل ذلك الوادي المقدس حتى يقترب من جبل الطور فإن الله سبحانه وتعالى سيكلمه، ويجعله رسولاً، ثم يرسله إلى فرعون ليبلغه رسالة الله[1].

قال تعالى: ﴿ إِذۡ رَءَا نَارٗا فَقَالَ لِأَهۡلِهِ ٱمۡكُثُوٓاْ إِنِّيٓ ءَانَسۡتُ نَارٗا لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنۡهَا بِقَبَسٍ أَوۡ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدٗى ۝١٠ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ يَٰمُوسَىٰٓ ۝١١ إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخۡلَعۡ نَعۡلَيۡكَۖ إِنَّكَ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ طُوٗى ۝١٢ وَأَنَا ٱخۡتَرۡتُكَ فَٱسۡتَمِعۡ لِمَا يُوحَىٰٓ ۝١٣ إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ ﴾ [طه: ١٠-١٤].

فذهب موسى عليه السلام إلى فرعون وكانت الرحلة الشاقة ووصل موسى إلى

(١) النبوة والأنبياء (ص٢٣٧) باختصار وتصرف مرجع سابق.

مصر ليلاً، واجتمع بأخيه هارون وانطلقا إلى فرعون وأخذا يبلغاه رسالة الله، فاستكبر وأبى واتهمهما بالسحر، واستدعى السحرة لمناظرتهما، وآمنوا بهما لما رأوا الحق فقتل فرعون السحرة وطلب موسى من فرعون أن يأخذ بني إسرائيل ويخرج ولكن فرعون أبى، فأرسل الله عز وجل آيات من القحط والطوفات والجراد والقمل والضفادع والدم عسى أن يقلعوا عن إبائهم عن دعوة الله، ومع ذلك أصروا على طغيانهم.

وعندما يئس موسى من استجابة فرعون لمطالبه أخذ بني إسرائيل بأمر الله، وخرج وراءه فرعون فكانت هنا نهاية فرعون.

قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ كَلَّآ ۖ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ ﴿٦٢﴾ فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ ۖ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٦٣﴾ وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ ٱلْءَاخَرِينَ ﴿٦٤﴾ وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿٦٥﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْءَاخَرِينَ ﴾ [الشعراء: ٦١-٦٦].

وهكذا كانت نهاية العدو اللدود لدعوة الحق في عهد موسى عليه السلام.

openkandil.com

فرعون والحرب النفسية ضد موسى عليه السلام

من المعروف في فقه كل مسلم أن بعض رسل الله عليهم السلام تحملوا في سبيل دعوة الله وإلى عبادته شتى ألوان العذاب.

والذي تحملوه أكثر من غيرهم من رسل الله الآخرين ومن المعروف أن المعنى بقوله تعالى: ﴿ فَٱصۡبِرۡ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلۡعَزۡمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ ﴾ [الأحقاف: ٣٥].

هم خمسة من الرسل هم الذين تحملوا أعباء كثيرة، وقد ركز القرآن الكريم على سيدنا موسى عليه السلام وقومه تركيزًا واضحًا في معرض حديث القرآن عن الرسل والقصص، وقد زاد ذكر موسى عليه السلام في القرآن عن مائة وثلاثين مرة، ما لم يكن لرسول قبله هذا، بجانب الآيات الكثيرة التي تتحدث عن قومه والتي تحدثت عن صراعه مع فرعون وهامان مما يضيق به الحصر(١).

والقرآن في هذا يلفت الأنظار إلى شدة ما لاقاه موسى عليه السلام في سبيل الدعوة إلى الله وأنه لاقى في سبيل ذلك شتى ألوان الحرب وعلى رأسها الحرب النفسية الشرسة، والتي تولى كبرها ضد موسى عليه السلام جبهتان:

الجبهة الأولى: فرعون وملؤه.

الجبهة الثانية: بنو إسرائيل.

وفي الصفحات القادمة إن شاء الله سأحاول إلقاء الضوء على دور كلتا الجبهتين في الحرب النفسية ضد موسى عليه السلام.

أولاً: فرعون والحرب النفسية:

غني عن البيان أن فرعون كان أشد من تحدث عنهم القرآن الكريم من أعداء الله مغاضبة لله، وعنادًا في كفره، وتحديًا صريحًا مباشرًا لله حتى ادعى لنفسه شيئًا لا يليق

---

(١) انظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، أ/ محمد فؤاد عبد الباقي (ص٨٥٤، ٨٥٥)، ط/ دار الحديث، القاهرة.

لبشر ضعيف، فادعى الألوهية، بل بالغ في ذلك حتى ادعى الوحدانية المطلقة منكرًا أن يكون لأي إله آخر وجود.

والقرآن الكريم يصور لنا ذلك في قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى فَأَوْقِدْ لِى يَٰهَٰمَٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ فَٱجْعَل لِّى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴾ [القصص: ٣٨].

وكان مستبدًا في آرائه متجبرًا متعنتًا مع خصمائه ومن تحت ملكه.

ويعرف الكواكبي[١] الاستبداد فيقول:

ومعنى الاستبداد تصرف فرد أو جمع في حقوق قوم بدون إرادتهم[٢] قال تعالى حكاية عن فرعون: ﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ مَآ أُرِيكُمْ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴾ [غافر: ٢٩].

لكن أعجب ما يلفت النظر في القرآن الكريم وهو سر عظمته وسموه، أنه لم يتحامل على فرعون تحامل خصوم الدنيا بعضهم على بعض، يتصيد الأخطاء، ولكنه ذكر لفرعون أنه أفسح المجال لموسى عليه السلام، حتى يقول ما عنده، فاستمع فرعون لموسى عليه السلام، على عكس ما يفعله ملوك الأرض اليوم مع مخالفيهم.

ورغم هذا نلمح من آيات القرآن الكريم استخدام فرعون لوسائل شتى من وسائل الحرب النفسية مع موسى عليه السلام منها:

أولاً: الاستهزاء.

ثانيًا: اتهامه بالسحر.

---

(١) هو: عبد الرحمن بن مسعود الكواكبي، من الكتاب الأدباء ومن رجال الإصلاح الإسلامي، ولد سنة ١٢٦٥هـ بحلب وتعلم فيها، ورحل إلى مصر واستقر فيها له من الكتب: «طبائع الاستبداد» «أم القرى» توفي سنة ١٣٢٠هـ. انظر: الأعلام للزركلي (٣/ ٢٩٨).

(٢) طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد لعبد الرحمن الكواكبي، دار النفائس، بيروت، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م (ص٧١).

ثالثًا: اتهامه بالكذب.

رابعًا: المن أو التعيير.

خامسًا: اتهامه بالجنون.

سادسًا: اتهامه بالفساد.

سابعًا: التهديد.

أولاً: الاستهزاء:

وهو من الوسائل التي استخدمها فرعون في الحرب النفسية ضد سيدنا موسى عليه السلام من أول لحظة، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَـٰتِنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَقَالَ إِنِّى رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٤٦﴾ فَلَمَّا جَآءَهُم بِـَٔايَـٰتِنَآ إِذَا هُم مِّنْهَا يَضْحَكُونَ ﴾ [الزخرف: ٤٦-٤٧].

يقول تعالى مخبرًا عن موسى عليه السلام: إنه أرسله إلى فرعون وملأيه من الأحرار والوزراء والقادة والأتباع والرعايا من القبط وبني إسرائيل يدعوهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له، وينهاهم عن عبادة من سواه، وأنه تعالى بعث معه آيات عظامًا كيده، وعصاه، وما أرسل معه من الطوفان والجراد والقمل والضفادع، والدم وغيرها، ومع هذا كله استكبروا عن اتباعها والانقياد لها، وكذبوها وسخروا منها وضحكوا ممن جاء بها[(١)].

أي فلما أتاهم بالحجج على التوحيد والبراءة من الشرك إذا فرعون وقومه يضحكون أي كما كان قومك مما جئتهم من الآيات والعبر يسخرون، وهذا تسلية من الله عز وجل لنبيه ﷺ[(٢)]، ففرعون وملؤه سخروا من موسى عليه السلام ومن الآيات التي جاء بها من أول وهلة دون تفكير أو تأمل أو إعمال نظر، ولا شك أن هذه الوسيلة

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٤/ ١٢٩).

(٢) محاسن التأويل للقاسمي (١٥/ ٥٢٧٦).

لها من التأثير في نفس موسى عليه السلام الأثر الكبير، كما أن لها الأثر الكبير على نفس كل داعية صادق.

ثانيًا: اتهام موسى بالسحر:

استمرت سلسلة الحرب النفسية ضد موسى عليه السلام وذلك أن فرعون لما عجز عن مجاراة موسى في حجته وبيانه بدأ يلجأ إلى حيلة أخرى في حرب موسى لعلها تنال من موسى عليه السلام فبدأ يرميه بالسحر، وأعمال السحرة والشعوذة[1].

قال تعالى حكاية لذلك: ﴿ قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٩﴾ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ ۖ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴾ [الأعراف: ١٠٩-١١٠].

﴿ قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ ﴾ أي أشراف قومه وأركان الدولة منهم.

﴿ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴾ أي راسخ في العلم يريد أن يخرجكم من أرضكم.

أي قد وجه إرادته لسلب ملككم منكم وإخراجكم من أرضكم بسحره، بأن يستميل الشعب المصري فيتبعه، فينتزع منكم الملك، ويستبد به دونكم.

﴿ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴾ بمعنى الإدلاء بالرأي[2].

وهذا من تمام الحكاية عن قول الملأ، أو مستأنف من قول فرعون، تقديره: فقال ماذا تأمرون[3].

فالآية الكريمة بينت أن الذين اتهموا موسى عليه السلام بالسحر هم الملأ من قوم فرعون.

وقد وردت آيات أخرى من القرآن الكريم تبين أن فرعون قد اتهم موسى عليه السلام بنفس التهمة كما ورد ما يبين أن فرعون وهامان وقارون قد اتهموا موسى عليه

---

(١) الحرب النفسية وأثرها في الأديان السماوية، رسالة ماجستير (ص١٧٨).

(٢) تفسير المنار (٩/ ٥٢).

(٣) محاسن التأويل للقاسمي (٧/ ٢٨٣٢).

السلام بالسحر أيضًا، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على شراسة الحرب النفسية التي تعرض لها موسى عليه السلام حيث كانت الجبهات التي توجه له الاتهامات جبهات قوية ومتعددة، ففرعون كان ملك البلاد، وهامان كان وزيره، وقارون كان من أغنى أغنياء قومه، والملأ كانوا أشراف القوم ورؤسائهم.

فمن الآيات التي تدل على اتهام فرعون لموسى عليه السلام بالسحر قول الله عز وجل على لسان فرعون: ﴿ قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُۥٓ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِۦ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴾ [الشعراء: ٣٤-٣٥].

﴿ قَالَ لِلْمَلَإِ ﴾ يعني أشراف قومه.

﴿ حَوْلَهُۥٓ ﴾ وهو ظرف مستقر وقع حالاً أي مستقرين حوله.

﴿ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴾ فائق في علم السحر(١).

وقدمت آيات القرآن الكريم على أن الذين اتهموا موسى بالسحر جهات ثلاث:

أولاً: فرعون ثم هامان وقارون ثم الملأ من القوم:

وقد ذكرت الآيات التي تحدثت عن الملأ من قوم فرعون، والآيات التي تتحدث عن فرعون، أما الآيات التي تحدثت عن هامان وقارون، فقد قال الله عز وجل: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٢٣﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَقَٰرُونَ فَقَالُوا۟ سَٰحِرٌ كَذَّابٌ ﴾ [غافر: ٢٣-٢٤].

ولنا أن نتخيل قوة وشراسة الحرب النفسية التي يتولى كبرها عليه القوم ورؤساؤهم ضد نبي من أنبياء الله عز وجل.

ولم تقف الحرب النفسية من فرعون ووزرائه وملئه عند اتهامه بالسحر فقط، بل جمعوا له السحرة ليهزموه بسحرهم لاعتقادهم أن سحر سحرتهم أقوى من الآيات التي جاء بها موسى عليه السلام، والتي قالوا عنها إنها سحر، ونظرًا لأنهم كانوا على

(١) روح المعاني للألوسي الجزء التاسع عشر (١١/ ١١٣).

obeikandl.com

ثقة من هزيمة موسى عليه السلام، تركوا له أن يحدد مكان وزمان مناظرته مع السحرة.

وبذل فرعون أقصى جهده ليجمع أكبر عدد من السحرة، وأغراهم بالعطاء الوفير إن هم هزموا موسى، ثم كانت الصاعقة بأن آمن السحرة بموسى بعد أن رأوا صدق ما بيده من آيات، وأنها ليست سحرًا وانقلب كيد فرعون عليه، وبانت هزيمته، وانتصر موسى عليه السلام.

قال الله تعالى حكاية عن ذلك: ﴿ قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَا مُوسَىٰ ﴿٥٧﴾ فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِ فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَّا نُخْلِفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنتَ مَكَانًا سُوًى ﴿٥٨﴾ قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ الزِّينَةِ وَأَن يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحًى ﴿٥٩﴾ فَتَوَلَّىٰ فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُ ثُمَّ أَتَىٰ ﴿٦٠﴾ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُم بِعَذَابٍ ۖ وَقَدْ خَابَ مَنِ افْتَرَىٰ ﴿٦١﴾ فَتَنَازَعُوا أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ وَأَسَرُّوا النَّجْوَىٰ ﴿٦٢﴾ قَالُوا إِنْ هَٰذَانِ لَسَاحِرَانِ يُرِيدَانِ أَن يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلَىٰ ﴿٦٣﴾ فَأَجْمِعُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ ائْتُوا صَفًّا ۚ وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنِ اسْتَعْلَىٰ ﴿٦٤﴾ قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِمَّا أَن تُلْقِيَ وَإِمَّا أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَىٰ ﴿٦٥﴾ قَالَ بَلْ أَلْقُوا ۖ فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ﴿٦٦﴾ فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُّوسَىٰ ﴾ [طه: ٥٧-٦٧].

﴿ قَالَ ﴾ يعني فرعون، ﴿ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا ﴾ يعني أرض مصر.

﴿ بِسِحْرِكَ يَا مُوسَىٰ ﴾ أي تريد أن تقلب علينا ديارنا فيكون لك الملك وتخرجنا منها[1].

والمعنى أنك يا موسى جئتنا من مكانك الذي كنت فيه بعد ما غبت عنا، أو أقبلت علينا لتخرجنا من مصر بما أظهرته من السحر، وهذا مما لا يصدر عن عاقل لكونه من باب محاولة المحال، وإنما قال ذلك ليحمل قومه على غاية المقت لموسى عليه السلام،

(١) معالم التنزيل للبغوي (٣/ ٢٢١) باختصار وتصرف.

بإبراز أن مراده ليس مجرد إنجاء بني إسرائيل من أيديهم، بل إخراج القبط من وطنهم وحيازة أموالهم وأملاكهم بالكلية حتى لا يتوجه إلى اتباعه أحد ويبالغوا في المدافعة إذ الإخراج من الوطن أخو القتل[(١)] كما قال تعالى: ﴿ وَلَوۡ أَنَّا كَتَبۡنَا عَلَيۡهِمۡ أَنِ ٱقۡتُلُواْ أَنفُسَكُمۡ أَوِ ٱخۡرُجُواْ مِن دِيَٰرِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٞ مِّنۡهُمۡۖ وَلَوۡ أَنَّهُمۡ فَعَلُواْ مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۡ وَأَشَدَّ تَثۡبِيتٗا ﴾ [النساء: ٦٦].

﴿ فَلَنَأۡتِيَنَّكَ بِسِحۡرٖ مِّثۡلِهِۦ فَٱجۡعَلۡ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكَ مَوۡعِدٗا ﴾ أي اضرب بينك وبيننا أجلاً وميقاتًا.

﴿ لَّا نُخۡلِفُهُۥ ﴾ لا تجاوزه، ﴿ نَحۡنُ وَلَآ أَنتَ مَكَانٗا سُوٗى ﴾ والمعنى اجعل بيننا وبينك موعدًا مكانًا نتواعد بحضورنا ذلك المكان ولا يقع منا خلاف في حضوره.

﴿ مَكَانٗا سُوٗى ﴾ أي تستوي مسافته على الفريقين، فتكون مسافة كل فريق إليه كمسافة الفريق الآخر.

﴿ قَالَ مَوۡعِدُكُمۡ يَوۡمُ ٱلزِّينَةِ ﴾ في تفسير اليوم أربعة أوجه:

أحدهما: يوم عيد لهم، عن ابن عباس والسدي ومجاهد.

الثاني: يوم عاشوراء.

الثالث: يوم النيروز، ووافق ذلك يوم السبت أول يوم في السنة.

الرابع: يوم سوق لهم[(٢)]، قاله سعيد بن جبير[(٣)].

وإنما واعدهم ذلك اليوم ليكون علو كلمة الله وظهور دينه وكبت الكافر وزهوق

---

(١) تفسير روح المعاني للألوسي، الجزء السادس عشر (٩/ ٣١٥، ٣١٦) باختصار.

(٢) زاد المسير لابن الجوزي (٥/ ٢٩٤، ٢٩٥) باختصار.

(٣) هو سعيد بن جبير بن هشام الأزدي، روى عن ابن عباس وابن الزبير وغيرهما، وعنه ابنه عبد الملك وعبد الله وآخرون، قال أبو القاسم الطبري: هو ثقة إمام حجة على المسلمين وكان سفيان يقدمه في العلم، قتل بين يدي الحجاج سنة ٩٥هـ، ولم يكمل الخمسين سنة. انظر: تهذيب التهذيب (٢/ ٢٩٢).

الباطل على رؤوس الأشهاد، وفي المجمع القاص، لتقوي رغبة من رغب في اتباع الحق، ويكل حد المبطلين وأشياعهم، ويكثر المحدث بذلك الأمر العَلَمْ في كل بدو وحضر[١].

﴿ وَأَن يُحْشَرَ ٱلنَّاسُ ضُحًى ﴾ صحوة النهار بعد طلوع الشمس، ثم بعده الضحى وهي حين تشرق الشمس، وخص الضحى لأنه أول النهار، فلو امتد الأمر فيما بينهم لكان في النهار متسع[٢] وواعدهم ذلك اليوم.

﴿ فَتَوَلَّىٰ فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُۥ ﴾ والمعنى أن فرعون تولى عن الحق الذي أمر به أو أنه انصرف إلى منزله للاستعداد ما يلقى به موسى وجمع مكره وحيلته.

﴿ ثُمَّ أَتَىٰ ﴾ أي حضر الموعد[٣].

﴿ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ ﴾ أي للسحرة الذين جمعهم فرعون وكانوا اثنين وسبعين ساحرًا مع كل واحد حبل وعصا، وقيل كانوا أربعمائة، وقيل: كانوا اثني عشر ألفًا، وقيل: أكثر من ذلك.

﴿ وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُم بِعَذَابٍ ۖ ﴾ أي فيهلككم، وقال قتادة: فيستأصلكم[٤].

﴿ وَقَدْ خَابَ مَنِ ٱفْتَرَىٰ ﴾ أي خسر وهلك والمعنى: قد خسر من افترى على الله[٥].

فسيدنا موسى عليه السلام خوفهم من عقاب الله لهم لمعاندتهم نبيه، ومساعدتهم لطاغية كافر به، وهو بذلك يستعمل معهم حربًا نفسية تصل إلى قلوبهم فتصيبهم باضطراب وتحير، وكان هدف سيدنا موسى عليه السلام من استعمال الحرب النفسية

---

(١) حقائق التنزيل وعيون الأقاويل للزمخشري (٢/ ٥٤٢، ٥٤٣).
(٢) الجامع لأحكام القرآن الكريم للقرطبي (٦/ ٤٢٥٤) باختصار.
(٣) زاد المسير لابن الجوزي (٥/ ٢٩٥).
(٤) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٦/ ٤٢٥٤) باختصار.
(٥) فتح القدير للشوكاني (٣/ ٣٧٤).

هنا أن يأخذ بأيديهم إلى الحق وإلى الإيمان بالله، ولذلك فقد أتت الحرب النفسية من سيدنا موسى ضد السحرة أكلها، فعندما خوفهم سيدنا موسى بالله ومن عقاب الله قالوا فيها بينهم إن هذا ليس بكلام ساحر.

﴿ فَتَنَٰزَعُوٓاْ أَمۡرَهُم بَيۡنَهُمۡ ﴾ أي السحرة حين سمعوا كلامه عليه السلام وتشاوروا وتناظروا ﴿ بَيۡنَهُمۡ ﴾ في كيفية المعارضة وتجاذبوا أهداب القول في ذلك.

﴿ وَأَسَرُّواْ ٱلنَّجۡوَىٰ ﴾ والمعنى أنهم بالغوا في إخفاء كلامهم عن موسى وأخيه عليهما السلام، وكان نجواهم أنهم لما سمعوا مقالة موسى عليه السلام قالوا فيما بينهم ما هذا بقول ساحر[١].

والآيات الكريمة توضح مدى الحرب النفسية التي أعدها فرعون للضغط على موسى عليه السلام فما بالك برجل واحد ويجتمع عليه الملك وحاشيته وقومه كل هؤلاء ضده فما بالك بحاله؟ إنها حرب نفسية ضده لا هوادة فيها، أراد بها فرعون الضغط عليه وتحطيم معنوياته وإرهابه، وكادت بالفعل هذه الحرب أن تؤتي أكلها لولا أن الله بجوار عبده لا يتركه لأعدائه ولا يسلمه لهم ولا يهزمه أبدًا.

قال تعالى مبينًا أن موسى بالفعل كادت أن تؤثر فيه هذه الحرب النفسية التي شنها فرعون وقومه ﴿ فَأَوۡجَسَ فِي نَفۡسِهِۦ خِيفَةٗ مُّوسَىٰ ﴾ [طه: ٦٧].

أي أحسن وقيل وجد وقيل أحمر وقيل خاف، وذلك لما يعرض من الطباع البشرية عند مشاهدة ما يخشى منه[٢].

والتعبير يشي بعظمة ذلك السحر وضخامته في ﴿ فَأَوۡجَسَ فِي نَفۡسِهِۦ خِيفَةٗ مُّوسَىٰ ﴾ وهو لا يوجس في نفسه خيفة إلا لأمر جلل ينسيه لحظة أنه الأقوى[٣].

---

(١) روح المعاني للألوسي، الجزء السادس عشر (٩/ ٣٢٢)، باختصار وتصرف.
(٢) فتح القدير للشوكاني (٣/ ٣٧٦).
(٣) في ظلال القرآن لسيد قطب (٤/ ٢٣٤٢).

ثم ينتهي المشهد بإيمان السحرة فكان إيمانهم أمرًا عظيمًا جدًا، وبرهانًا قاطعًا للعذر، وحجة دامغة على أن موسى عليه السلام رسول من رب العالمين، وذلك أن الذين استنصر بم فرعون وطلب منهم أن يغلبوا غلبوا وخضعوا وآمنوا بالله في الساعة الراهنة وسجدوا لله رب العالمين الذي أرسل موسى وهارون بالحق وبالمعجزة الباهرة، فغُلب فرعون غلبًا لم يشاهد العالم مثله[١].

ثالثًا: اتهامه بالكذب:

من وسائل الحرب النفسية التي بالغ في استخدامها فرعون وملأه ضد موسى عليه السلام بعد أن فشلت محاولاته لإثناء موسى عن موقفه بالاستهزاء منه واتهامه بالسحر، أن اتهموه بالكذب، والسمة التي تلاحظ على استخدام فرعون لهذه الوسيلة أنه كان يحاول إقناع أكبر قاعدة ممكنة بكذب موسى حتى يتحشد الجميع في وجهه ولا يكون فرعون بمفرده، وإذا تسنى له ذلك استطاع أن يقوي من حملته النفسية ضد موسى عليه السلام.

ولقد شهدت آيات القرآن بما حاوله فرعون من تشكيك في موسى بأنه كذاب وأن ما يقوله ليس وحيًا وإنما هو افتراء.

قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِـَٔايَـٰتِنَا بَيِّنَـٰتٍ قَالُوا۟ مَا هَـٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّفْتَرًى وَمَا سَمِعْنَا بِهَـٰذَا فِىٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ [القصص: ٣٦].

﴿ بَيِّنَـٰتٍ﴾ الواضحات للدلالة على صحة رسالته وأنها من عند الله[٢].

﴿ قَالُوا۟ مَا هَـٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّفْتَرًى ﴾ أي سحر تعلمته أنت ثم تفتريه على الله، أو سحر ظاهر افتراؤه، أو موصوف بالافتراء كسائر جميع أنواع السحر وليس بمعجزة من

(١) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (٣/ ٣٣٤) باختصار وتصرف.
(٢) فتح القدير للشوكاني (٤/ ١٦٨).

عند الله[١]، والافتراء بمعنى الاختلاق أو الكذب[٢].

﴿ وَمَا سَمِعْنَا بِهَـٰذَا ﴾ أي السحر أو إدعاء النبوة، أو بأن للعالم إلهًا يرسل الرسل بالآيات.

﴿ فِىٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ أي كائنًا أو واقعًا في آبائنا الأولين[٣].

وتنقلب لديهم الحقائق وتختل لديهم الموازين حتى يدعوا أن آيات الله سحرًا ورسوله كاذبًا مختلقًا لهذه الآيات لمجرد التقليد الأعمى الذي يتمسكون به ﴿ وَمَا سَمِعْنَا بِهَـٰذَا فِىٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ .

وقال الله عز وجل مبينًا أن فرعون اتهم موسى بالكذب وحاول إقناع الناس بذلك ليحشدهم ضده، قال تعالى: ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرِى فَأَوْقِدْ لِى يَـٰهَـٰمَـٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ فَٱجْعَل لِّى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَـٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ مِنَ ٱلْكَـٰذِبِينَ ﴾ [القصص: ٣٨].

يقول العلامة ابن عاشور في تفسيره لهذه الآية: أراد فرعون بخطابه مع ملئه أن يثبتهم على عقيدة إلهيته ﴿ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرِى ﴾ إبطالا لقول موسى المحكي في سورة الشعراء ﴿ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ [الشعراء: ٢٦].

فأظهر لهم فرعون أن دعوة موسى لم ترج عنده، وأنه لم يصدق بها.

فأمر وزيره هامان أن يصنع له صرحًا مرتفعًا ليرى الإله الذي زعمه موسى حتى إذا لم يجده رجع إلى قومه فأثبت لهم عدم وجود إله في السماء، وبهذا يخبر قومه أن نتيجة بحثه أسفرت عن كذب موسى، وبهذا يزدادون ثقة ببطلان قول موسى عليه السلام[٤].

---

(١) حقائق التنزيل وعيون الأقاويل للزمخشري (٣/ ١٧٦).
(٢) محاسن التأويل للقاسمي (١٣/ ٤٧٠٦).
(٣) فتح القدير للشوكاني (٤/ ١٧٦).
(٤) التحرير والتنوير لابن عاشور (١٠/ ١٢١، ١٢٢)، الجزء العشرون، باختصار.

وليس فرعون وحده هو الذي اتهم موسى بالكذب، بل معه هامان وقارون أيضًا.

قال تعالى: ﴿ وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٍ ۝٢٣ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ وَهَٰمَٰنَ وَقَٰرُونَ فَقَالُواْ سَٰحِرٞ كَذَّابٞ ﴾ [غافر: ٢٣-٢٤].

وهكذا يقود الحرب النفسية ضد موسى عليه السلام ملك القوم وعليتهم ليتهموا نبيهم بالكذب وهو الذي جاءهم بالهدى من ربهم ولكنه صلف القلوب وصدأ الصدور يحدوهم لمعاندة نبي الله، ومحاولة النيل منه ولكن أنى لهم ذلك، والله سبحانه وتعالى معه يثبته ويقويه يسمع ويرى.

رابعًا: المن أو التعيير:

والمن في اللغة يقال: من عليه منا فخر الله بنعمته حتى كدرها[١]، وفي التنزيل العزيز ﴿ لَا تُبۡطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلۡمَنِّ وَٱلۡأَذَىٰ ﴾ [البقرة: ٢٦٤].

والمن على وجهين أحدهما: أن يكون بالفعل فيقال: من فلان على فلان إذا أثقله بالنعمة، وعلى ذلك قوله: ﴿ لَقَدۡ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ [آل عمران: ١٦٤] وذلك على الحقيقة لا يكون إلا الله تعالى.

والثاني: يكون ذلك بالقول، وذلك مستقبح فيما بين الناس ولقبح ذلك قيل المنة تهدم الصنيعة[٢].

والمن والتعيير من وسائل الحرب النفسية التي استخدمها فرعون مع موسى عليه السلام من أول لحظة حيث عيره بتربيته إياه ورعايته له كما عيره بأن لم يقتله كما قتل الأطفال زمن ولادته عليه السلام، كما عيره بالنفس التي وكزها فماتت.

ولقد قصد فرعون بذلك أن يحرج موسى عليه السلام ويخزيه ويهزمه نفسيًا حتى ينثني عن دعوته وكأنه يقول له يا من فعلنا بك ذلك لا يليق بك أن تعترضنا وتخالف أوامرنا.

---

(١) المعجم الوسيط (٢/ ٨٨٨).

(٢) معجم مفردات القرآن للراغب الأصفهاني (ص٤٩٤).

obeikandl.com

ولقد حكى القرآن الكريم ذلك في قوله تعالى: ﴿ قَالَ كَلَّا ۖ فَٱذۡهَبَا بِـَٔايَٰتِنَآ ۖ إِنَّا مَعَكُم مُّسۡتَمِعُونَ ﴿١٥﴾ فَأۡتِيَا فِرۡعَوۡنَ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ أَنۡ أَرۡسِلۡ مَعَنَا بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ﴿١٧﴾ قَالَ أَلَمۡ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدٗا وَلَبِثۡتَ فِينَا مِنۡ عُمُرِكَ سِنِينَ ﴿١٨﴾ وَفَعَلۡتَ فَعۡلَتَكَ ٱلَّتِي فَعَلۡتَ وَأَنتَ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾ [الشعراء: ١٥-١٩].

يقول العلامة الشوكاني مبينًا أن خطاب فرعون لموسى كان على سبيل المن.

﴿ قَالَ أَلَمۡ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدٗا ﴾ أي قال فرعون لموسى وهارون بعد أن أتياه وقالا له ما أمرهما الله به، ومعنى ﴿ فِينَا ﴾ أي في حجرنا ومنزلنا، أراد بذلك المن عليه والاحتقار له، أي ربيناك صغيرًا ولم نقتلك فيمن قتلنا من الأطفال.

﴿ وَلَبِثۡتَ فِينَا مِنۡ عُمُرِكَ سِنِينَ ﴾ فمتى كان هذا الذي تدعيه، قيل: لبث فيهم ثماني عشرة سنة، وقيل: ثلاثين سنة، وقيل أربعين سنة.

ثم قرره بقتل القبطي فقال: ﴿ وَفَعَلۡتَ فَعۡلَتَكَ ٱلَّتِي فَعَلۡتَ ﴾ أي أنه لما عدد عليه النعم، ذكر له ذنوبه وأراد بالفعل قتل القبطي، ثم قال: ﴿ وَأَنتَ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾ أي من الكافرين بالنعمة، حيث قتلت رجلاً من أصحابي، وقيل: المعنى ﴿ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾ بأن فرعون إله[1].

ووجه فرعون خطابه إلى موسى وحده لأنه علم من تفصيل كلام موسى وهارون أن موسى هو الرسول بالأصالة وأن هارون كان عونًا له على التبليغ فلم يشتغل بالكلام مع هارون، وأعرض فرعون عن الاعتناء بإبطال دعوة موسى فعدل إلى تذكيره بنعمة الفراعنة أسلافه على موسى وتخويفه من جنايته حسبانًا بأن ذلك يقتلع الدعوة من جذمها[2] ويكف موسى عنها وقصده من هذا الخطاب إفحام موسى كي يتلعثم من خشية فرعون حيث أوجد سببًا يتزرع به إلى قتله، ويكون معذورًا فيه حيث كفر

(١) فتح القدير للشوكاني (٤/ ٩٤).
(٢) جذمها: جذورها.

نعمة الولاية بالتربية واقترف جرم الجناية على الأنفس[١].

ففرعون قد بدت من كلماته فحوى موقفه فهو كافر بنبوة موسى معاندًا لها وأراد بكلماته المن على موسى وتعييره واحتقاره ذلك كي يحدث داخل موسى هزيمة نفسية كما أنه لمح في كلامه بقتله، حيث بين مسوغات القتل بكفران النعمة وقتل النفس وبهذا إن قتل فرعون موسى لا يلومه أحد، ولكن موسى عليه السلام لا ينثني ولا يهتز لهذا الذي قاله فرعون، بل يرد عليه بكل قوة وصرامة مفندًا ما قاله ليبين حقيقة قتل النفس، وإنكار النعمة التي ذكرها فرعون، فما هي بنعمة تستحق المن ولكنها طغيان اقترفه فرعون في حق بني إسرائيل.

قال تعالى مبينًا رد موسى على فرعون: ﴿ قَالَ فَعَلْتُهَآ إِذًا وَأَنَا۠ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴾ [الشعراء: ٢٠] أي قال موسى مجيبًا لفرعون فعلت هذه الفعلة التي ذكرت وهي قتل القبطي وأنا إذ ذاك من الضالين، أي الجاهلين فنفى عليه السلام عن نفسه الكفر، وأخبر أنه فعل ذلك على الجهل قبل أن يأتيه العلم الذي علمه الله.

وقيل المعنى: من الجاهلين أن تلك الوكزة تبلغ القتل، وقال أبو عبيدة من الناسين.

﴿ فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِى رَبِّى حُكْمًا وَجَعَلَنِى مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ [الشعراء: ٢١].

أي خرجت من بينكم إلى مدين ﴿ فَوَهَبَ لِى رَبِّى حُكْمًا ﴾ أي نبوة وعلمًا وفهمًا، وقال الزجاج المراد بالحكم تعليمه التوراة التي فيها حكم الله.

﴿ وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَىَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾ [الشعراء: ٢٢] قيل هو من موسى على جهة الإنكار أي أتمن علي بأن ربيتني وليدًا وأنت قد استعبدت بني إسرائيل وقتلتهم وهم قومي، ولولا هذا لكانت أمي مستغنية عن قذفي في اليم[٢].

---

(١) التحرير والتنوير، لابن عاشور، الجز التاسع عشر (٩/ ١١٠).

(٢) فتح القدير الشوكاني (٤/ ٩٤، ٩٥) باختصار.

هكذا أجاب موسى عليه السلام على محاولة فرعون هذه ففندها وردها فأصبحت لا قيمة لها، ونفي الأساس الذي من أجله قام الحوار وهو كون موسى نبي داعي لفرعون المدعو وفشلت محاولة فرعون للعثمة موسى وقتل الدعوة في مهدها.

خامسًا: اتهامه بالجنون:

من وسائل فرعون في الحرب النفسية ضد موسى عليه السلام اتهامه بالجنون، وهي تهمة تكررت مع كثير من الأنبياء مع أقوامهم، مما يؤكد أن الكفر كله ملة واحدة وإن اختلفت العصور والأشخاص.

فما بالك بنبي هو من أكمل خلق الله وأرجحهم عقلاً يدعو قومًا في ضلال ويحاول الأخذ بأيديهم إلى سبيل الله المستقيم، وإذا هم يرمونه بالجنون قلبًا للحقيقة وصدودًا عن الحق وفضا للناس أن يستمعوا إليه فضلاً عن كونهم يستجيبون له، ولا شك أن ذلك له أكبر الأثر على نفس النبي ومعنوياته، ولقد حكى القرآن الكريم مقولة فرعون هذه لموسى عليه السلام.

قال تعالى: ﴿ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِىٓ أُرۡسِلَ إِلَيۡكُمۡ لَمَجۡنُونٌ ﴾ [الشعراء: ٢٧].

يبين العلامة الألوسي في تفسيره لهذه الآية أن فرعون قصد بهذا المبالغة في رد الرسالة وإثارة غضب الناس لردها وإنكارهم لها فيقول في تفسيره: ﴿ قَالَ ﴾ مبالغًا في الرد والإشارة إلى عدم الاعتداد بذلك مصرحًا بما ينفر قلوبهم عن قائله وقبول ما يجيء به.

﴿ إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِىٓ أُرۡسِلَ إِلَيۡكُمۡ لَمَجۡنُونٌ ﴾ حيث يسأل عن شيء ويجيب عن شيء آخر وينبه على جوابه ولا ينتبه، وسماه رسولاً بطريق الاستهزاء وأضافه إلى مخاطبيه ترفعًا من أن يكون مرسلاً إلى نفسه وأكد ذلك بالوصف وفيه إثارة لغضبهم واستدعاء لإنكارهم لرسالته بعد سماع الخبر ترفعًا بأنفسهم عن أن يكونوا أهلاً أن يرسل إليهم مجنون[1].

(١) روح المعاني، الجزء التاسع عشر (١١/ ١٠٧).

ويحكي لنا القرآن أن موسى عليه السلام رد عن نفسه هذه التهمة بأبلغ رد، فدعوته حق، حيث يدعو إلى عبادة الله رب المشرق والمغرب وكل شيء، وأنتم أيها المنكرون حقًا أنتم الذين لا تعقلون.

قال تعالى: ﴿ قَالَ رَبُّ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ وَمَا بَيۡنَهُمَآۖ إِن كُنتُمۡ تَعۡقِلُونَ ﴾ [الشعراء: ٢٨].

أي إن كنتم من أهل العقل علمتم أن الأمر كما قلته وفيه إيذان بغاية وضوح الأمر، بحيث لا يشتبه على من له عقل في الجملة، وتلويح بأنهم بمعزل عن دائرة الحق، وأنهم المتصفون بما رموه عليه السلام به من الجنون[(١)].

هذا وإن كانت الآية في قوله تعالى حكاية عن فرعون ﴿ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِيٓ أُرۡسِلَ إِلَيۡكُمۡ لَمَجۡنُونٞ ﴾ [الشعراء: ٢٧] دلت صراحة على اتهام موسى بالجنون.

فلقد ذكر لنا القرآن أن فرعون قد اتهمه عليه السلام بخبال العقل وغيابه أيضًا في قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَىٰ تِسۡعَ ءَايَٰتِۭ بَيِّنَٰتٖۖ فَسۡـَٔلۡ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ إِذۡ جَآءَهُمۡ فَقَالَ لَهُۥ فِرۡعَوۡنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَٰمُوسَىٰ مَسۡحُورًا ﴾ [الإسراء: ١٠١].

﴿ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَىٰ تِسۡعَ ءَايَٰتِۭ بَيِّنَٰتٖۖ ﴾ أي دلالات واضحات فهي الآيات التسع وهي العصا واليد والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم والسنون ونقص الثمرات.

﴿ فَسۡـَٔلۡ ﴾ يا محمد، ﴿ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ إِذۡ جَآءَهُمۡ ﴾ موسى ﴿ فَقَالَ لَهُۥ فِرۡعَوۡنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَٰمُوسَىٰ مَسۡحُورًا ﴾ أي مطبوبًا[(٢)].

وكلمة ﴿ مَسۡحُورًا ﴾ ظاهرها أن معناها متأثرًا بالسحر أي سحرك السحرة

---

(١) محاسن التأويل، القاسمي (٣/ ٤١١٠).

(٢) معالم التنزيل للبغوي (٣/ ١٣٩، ١٤٠) باختصار.

وأفسدوا عقلك فصرت تهرف بالكلام الباطل الدال على خلل العقل[١].

فكلمة الحق وتوحيد الله والدعوة إلى ترك الظلم والطغيان والإيذاء لا تصدر في عرف الطاغية إلا من مسحور لا يدري ما يقول فما يستطيع الطغاة من أمثال فرعون أن يتصوروا هذه المعاني ولا أن يرفع أحد رأسه ليتحدث عنها وهو يملك قواه العقلية.

فأما موسى فهو قوى بالحق الذي أرسل به مشرقًا منيرًا مطمئن إلى نصرة الله له وأخذه للطغاة[٢].

ولذلك يرد على مقولة فرعون هذه والتي يساغ أن ينطق بها كل طاغية في وجه داعية مصلح يرد وبكل قوة بدون تأثر بها.

فيقول كما يحكى القرآن ﴿ قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ وَإِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰفِرْعَوْنُ مَثْبُورًا ﴾ [الإسراء: ١٠٢].

﴿ قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ ﴾ يا فرعون ﴿ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ ﴾ يعني الآيات التي أظهرها، وأنزل بمعنى أوجد ﴿ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ ﴾ بينات تبصرك صدقي ولكنك تعاند.

﴿ وَإِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰفِرْعَوْنُ مَثْبُورًا ﴾ الظن هنا بمعنى اليقين، والثبور: الهلاك والخراب، وقيل: بمعنى ناقص العقل[٣] والمعنى أنك مصروف عن الخير مطبوعًا عن الشر.

فرق بين ظن فرعون عليه اللعنة، وظن موسى عليه السلام فإن ظن فرعون كذب بحت، وظن موسى عليه السلام يحوم حول اليقين من تظاهر أماراته[٤].

---

(١) التحرير والتنوير لابن عاشور، الجزء الخامس عشر (٧/ ٢٢٦).
(٢) في ظلال القرآن لسيد قطب (٤/ ٢٢٥٢).
(٣) فتح القدير للشوكاني (٣/ ٢٦٩).
(٤) أنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي (١/ ٥٨٤).

فأنت يا فرعون هالك مدمر، جزاء تكذيبك بآيات الله وأنت تعلم أن لا أحد غيره يملك هذه الخوارق وإنها لواضحة مكشوفة منيرة للبصائر حتى لكأنها البصائر تكشف الحقائق وتجلوها[١].

وهكذا يحاول فرعون عليه اللعنة أن يتهم موسى عليه السلام بنقصان العقل وغيابه ليثنيه عن دعوته، ويشكك الناس فيه.

فإذا موسى عليه السلام يرد عليه بتكذيب ما ادعاه وبيان إنكاره لما هو أوضح من ضوء الشمس وإعلامه بأنه هالك مدمر.

سادسًا: اتهامه بالفساد:

من وسائل الحرب النفسية التي استخدمها فرعون ضد موسى عليه السلام أن اتهمه بالفساد بهدف تشكيك الناس فيه وفض الناس عنه وتسويغ قتله، وهي وسيلة تشي بمدى مغالطة هذا الطاغية وقلبه للحقائق، قال تعالى حكاية لمقولة فرعون هذه ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِيٓ أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُۥٓ ۖ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِى ٱلْأَرْضِ ٱلْفَسَادَ ﴾ [غافر: ٢٦].

﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِيٓ أَقْتُلْ مُوسَىٰ ﴾ كان كلما هم بقتله كفوه بقولهم ليس بالذي تخافه وهو أقل من ذلك وأضعف، وما هو إلا ساحر يقاومه ساحر مثله.

وإنك إذا قتلته أدخلت الشبهة على الناس واعتقدوا أنك عجزت عن مظاهرته بالحجة والظاهر أنه لعنة الله عليه استيقن أنه عليه السلام نبي ولكن كان فيه خب وجربذة وكان قتالاً سفاكًا للدماء في أهون شيء فيكف لا يقتل من أحس منه بأنه الذي يثل عرشه ويهدم ملكه، ولكنه يخاف إن هم بقتله أن يعاجل بالهلاك فقوله ﴿ ذَرُونِيٓ ﴾ كان تمويها على قومه وإيهامًا أنهم هم الذين يكفونه وما كان يكفه إلا ما في نفسه من هول الفزع.

---

(١) في ظلال القرآن (٤/ ٢٢٥٣).

﴿ وَلْيَدْعُ رَبَّهُۥٓ ﴾ الظاهر الاستهانة بموسى عليه السلام بدعائه ربه سبحانه كما يقال ادع ناصرك فأني منتقم منك وباطنه أنه كان يرعد فرائسه من دعائه ربه فلهذا تكلم به أول ما تكلم وأظهر أنه لا يبالي لدعاء ربه[١].

﴿ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ ﴾ الذي أنتم عليه من عبادة غير الله ويدخلكم في دينه الذي هو عبادة الله وحده[٢].

﴿ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِى ٱلْأَرْضِ ٱلْفَسَادَ ﴾ وذلك باجتهاده الذي يذهب معه الأمن وتتعطل المزارع والمكاسب ويهلك الناس قتلاً وضياعًا، فالفساد الذي عناه فساد دنياهم فيكون حاصل المعنى على ما قرر أولاً إني أخاف أن يفسد عليكم أمر دينكم بالتبديل أو يفسد عليكم أمر دنياكم بالتعطيل[٣].

فهل هناك أطرف من أن يقول فرعون الضال الوثني عن موسى رسول الله عليه السلام ﴿ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِى ٱلْأَرْضِ ٱلْفَسَادَ ﴾.

أليست هي بعينها كلمة كل طاغية مفسد عن كل داعية مصلح؟ أليست هي بعينها كلمة الباطل الكالح في وجه الحق الجميل؟ أليست هي بعينها كلمة الخداع الخبيث لإثارة الخواطر في وجه الإيمان الهادي؟ إنه منطق واحد، يتكرر كلما التقى الحق والباطل والإيمان والكفر والطغيان على توالي الزمان واختلاف المكان والقصة قديمة مكررة تعرض بين الحين والحين[٤].

ثم لم يكن فرعون وحده هو الذي يتهم موسى بالفساد ويسمي دعوته إلى الحق فسادًا بل كذلك سار على دربه الملأ من قومه وذلك ما حكاه القرآن الكريم في قوله

---

(١) روح المعاني للألوسي الجزء الرابع والعشري (١٣/ ٩٤).
(٢) فتح القدير للشوكاني (٤/ ٤٧٠).
(٣) روح المعاني للألوسي الجزء الرابع والعشرين (١٣/ ٩٥).
(٤) في ظلال القرآن (٥/ ٣٠٧٨).

openkandil.com

تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُۥ لِيُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ ۚ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَآءَهُمْ وَنَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَٰهِرُونَ ﴾ [الأعراف: ١٢٧].

﴿ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ ﴾ مخاطبين له بعدما شاهدوا أمر موسى عليه السلام ما شاهدوا.

﴿ أَتَذَرُ مُوسَىٰ ﴾ أتتركه، ﴿ وَقَوْمَهُۥ لِيُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ أي في أرض مصر، والمراد بالإفساد ما يشمل الديني والدنيوي أي يفسدوا الناس بدعوتهم إلى دينهم والخروج عليك، أخرج ابن جرير عن ابن عباس قال: لما آمنت السحرة اتبع موسى عليه السلام ستمائة ألف من بني إسرائيل.

﴿ وَءَالِهَتَكَ ۚ ﴾ معبوداتك يروى أنه كان يعبد الكواكب في آلهته وكان يعتقد أنها المربية للعالم السفلي مطلقًا وهو رب النوع الإنساني، وعن السدي أن فرعون كان قد اتخذ لقومه أصنامًا وأمرهم بأن يعبدوها تقربًا إليه(١).

فالملأ قد ساروا على نهج ملكهم في تسمية الحق فسادًا وتسمية من يدعو إليه مفسد فهو المنطق المقلوب الذي يقلب الحقائق ويزيف المسلمات وهو المنطق الذي يواجه الدعاة المصلحين من المناوئين المعادين لهم على مر العصور.

سابعًا: التهديد:

هو من وسائل الحرب النفسية التي استخدمها فرعون وبالغ في استخدامها ضد موسى وأتباعه.

فمن الآيات التي شهدت بتهديد فرعون لموسى عليه السلام بالسجن قوله تعالى: ﴿ قَالَ لَئِنِ ٱتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِى لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ ﴾ [الشعراء: ٢٩].

لما لم يجد فرعون لحججه نجاحًا ورأى شدة شكيمة موسى في الحق عدل عن

(١) روح المعاني للألوسي الجزء التاسع (٦/ ٤٤).

الحجاج إلى التخويف ليقطع دعوة موسى من أصلها وهذا شأن من قهرته الحجة وفيه كبرياء أن ينصرف عن الجدل إلى التهديد(١).

﴿ لَأَجۡعَلَنَّكَ مِنَ ٱلۡمَسۡجُونِينَ ﴾ أي لأجعلنك من أهل السجن أشد من القتل لأنه إذا سجن أحدًا لم يخرجه حتى يموت(٢).

وهكذا يهدد فرعون موسى وهو أسلوب الضعفاء عن الحجة العاجزين عن البيان يهدده ليرده عن الدعوة إلى الحق، ولكن هيهات له ذلك فموسى ماض في طريقه مهما كان التهديد، ولذلك يرد عليه ويقول له: ﴿ قَالَ أَوَلَوۡ جِئۡتُكَ بِشَيۡءٖ مُّبِينٖ ﴾ ويمعن في بيان آيات الله التي معه وتبليغ وحيه دون مبالاة بتهديد أو خوف من وعيد.

كذلك هدد فرعون موسى عليه السلام بالقتل وهو ما أشار إليه قول الله عز وجل ﴿ وَقَالَ فِرۡعَوۡنُ ذَرُونِيٓ أَقۡتُلۡ مُوسَىٰ وَلۡيَدۡعُ رَبَّهُۥٓۖ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمۡ أَوۡ أَن يُظۡهِرَ فِي ٱلۡأَرۡضِ ٱلۡفَسَادَ ﴾ [غافر: ٢٦].

فالآية الكريمة حملت تلميح فرعون وتهديده لموسى عليه السلام بالقتل.

فما كان من موسى إلا أن بين له أنه لا يخافه لأنه يستعين بالله من كل متكبر فلا يضره كيد جبار، قال تعالى: ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِنِّي عُذۡتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٖ لَّا يُؤۡمِنُ بِيَوۡمِ ٱلۡحِسَابِ ﴾ [غافر: ٢٧].

والمعنى أني التجأت إليه وتوكلت عليه، فهو ناصر دينه ومعز أهله(٣).

ولم يتوقف استخدام فرعون للتهديد عند موسى عليه السلام وفقط بل تعداه لأتباعه من بني إسرائيل حيث هددهم بقتل الأبناء واستحياء النساء، ونفذ تهديده وفي ذلك حرب نفسية خطيرة للنبي وأتباعه.

---

(١) التحرير والتنوير، الجزء التاسع عشر (٩/ ١٢١).
(٢) فتح القدير للشوكاني (٤/ ٩٦).
(٣) محاسن التأويل للقاسمي (١٤/ ٥١٦٣).

obeikandl.com

وهذا ما أشار إليه قول الله عز وجل: ﴿ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُۥ لِيُفْسِدُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ ۚ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَآءَهُمْ وَنَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَٰهِرُونَ ﴾ [الأعراف: ١٢٧].

﴿ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَآءَهُمْ وَنَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَٰهِرُونَ ﴾ أي قال مجيبًا للملأ سنقتل أبناءهم تقتيلاً ما تناسلوا، فتعبيره بالتقتيل يدل على التكثير والتدريج ونستبقي نساءهم أحياء كما كنا نفعل قبل ولادته حتى ينقرضوا.

﴿ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَٰهِرُونَ ﴾ وإنا مستعلون عليهم بالغلبة والسلطان قاهرون لهم كما كنا من قبل فلا يستطيعون إفسادًا في أرضنا، ولا خروجًا من حظيرة عبيدنا[(١)].

وأسلوب قتل الأولاد واستحياء النساء أسلوب اخترعه فرعون وجنوده كوسيلة من وسائل الحرب النفسية القاسية، وهي استحياء البنات واتخاذهم للخدم والعمل في القصور، فضموا إلى جريمة قتل الأبناء استحياء البنات وهي من الأشياء التي تثير حمية الرجال، وهذا النوع من أنواع الحرب النفسية من أقسى وسائل الحرب النفسية ألمًا على النفس وخصوصًا نفسية الرجال[(٢)].

ولم يتوقف تهديد فرعون لأتباع موسى من المؤمنين من بني إسرائيل بل تعداهم إلى السحرة الذين ناظروا موسى فلما علموا أنه على الحق آمنوا به فهددهم فرعون بتقطيع الأيدي والأرجل والصلب إن لم ينتهوا فأصروا على موقفهم ولم يلتفتوا إلى تهديده ففعل بهم ما فعل فضربوا أروع الأمثلة في هوان النفس في سبيل الحق.

قال تعالى حكاية لذلك: ﴿ فَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ ﴿٧٠﴾ قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ ۖ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِى جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَابًا

(١) تفسير المنار (٩/ ٦٨).

(٢) الحرب النفسية وأثرها في الأديان السماوية (ص١٨١).

وَأَبۡقَىٰ ﴿٧١﴾ قَالُواْ لَن نُّؤۡثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلَّذِي فَطَرَنَاۖ فَٱقۡضِ مَآ أَنتَ قَاضٍۖ إِنَّمَا تَقۡضِي هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَآ﴾ [طه: ٧٠-٧٢].

﴿ فَأُلۡقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ ﴾ أخرج ابن أبي حاتم قال: لما وقعوا له سجدًا رأوا أهل النار وأهل الجنة وثواب أهليهما فقالوا لن نؤثرك على ما جاءنا من البينات[١].

﴿ قَالَ ءَامَنتُمۡ لَهُۥ قَبۡلَ أَنۡ ءَاذَنَ لَكُمۡۖ ﴾ ﴿ قَالَ ﴾ أي فرعون للسحرة ﴿ ءَامَنتُمۡ لَهُۥ ﴾ أي لموسى عليه الصلاة والسلام، واللام لتضمين الفعل معنى الاتباع، وقرئ على الاستفهام التوبيخي، ﴿ قَبۡلَ أَنۡ ءَاذَنَ لَكُمۡۖ ﴾ أي من غير أن آذن لكم في الإيمان له[٢].

والمعنى لما رأى فرعون والملأ إيمان السحرة وقامت الحجة بإيمان أهل علمهم ومظنة نصرتهم، وقع فرعون في الورطة العظمى، فرجع إلى السحرة موبخًا لهم على إيمانهم بموسى قبل إذن لهم بالإيمان باعتباره أنه الحاكم المطاع[٣].

﴿ إِنَّهُۥ ﴾ يعني موسى، ﴿ لَكَبِيرُكُمُ ﴾ أي في سحركم وأعلمكم به وأستاذكم الذي علمكم السحر فتواطأتم على ما فعلتم أو فعلمكم شيء دون شيء فلذلك غلبكم وهذه شبهة زورها اللعين وألقاها على قومه، وأراهم أن أمر الإيمان منوط بإذنه فلما كان إيمانهم بغير إذنه لم يكن معتد به وإنهم من تلامذته عليه الصلاة والسلام فلا عبرة بما أظهروه كمالاً، وذلك لما اعتراه من الخوف من اقتداء الناس للسحرة في الإيمان بالله تعالى فلا عبرة بما أظهره كما لا عبرة بما أظهروه[٤].

وهذه مكابرة يعلم كل أحد بطلانها فإنهم لم يجتمعوا بموسى قبل ذلك اليوم فكيف

---

(١) الدر المنثور للسيوطي (٤/ ٣٠٣).
(٢) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الحكيم لأبي السعود (٣/ ٤٧٦).
(٣) المحرر الوجيز لابن عطية (١١/ ١٠٩).
(٤) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الحكيم لأبي السعود (٣/ ٤٧٦).

يكون كبيرهم الذي علمهم صناعة السحر.

ثم أقبل عليهم بالوعيد المؤكد حيث قال: ﴿ فَلَأُقَطِّعَنَّ ﴾ أي فوالله لأقطعن.

﴿ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ ﴾ أي اليد اليمنى والرجل اليسرى، ومن ابتدائية كأن القطع ابتداء من مخالفة العضو العضو، فإن المبتدأ من المعروض مبتدئ من العارض أيضًا، وهي مع مجرورها في حيز النصب على الحالية أي لأقطعنها مختلفتان.

وتعيين تلك الحالة للإيذاء بتحقيق الأمر لا محالة بتعيين كيفيته المعهودة في باب السياسة لا لأنها أقطع من غيرها.

﴿ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِى جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ ﴾ أي عليها وإيثار كلمة ﴿ فِى ﴾ للدلالة على إبقائهم عليها زمانًا مديدًا[1].

إنه تهديد غليظ بالعذاب الغليظ الذي يعتمد عليه الطغاة ويسلطونه على الأبدان حين يعجزون عن قهر القلوب والأرواح، إنهم يستعلون بالقوة الغاشمة قوة الوحوش في الغابة، القوة التي تمزق الأحشاء والأوصال ولا تفرق بين إنسان يقرع بالحجة وحيوان يقرع بالناب[2].

فما عساهم أن يفعلوا تجاه هذا التهديد الغاشم الذي سيذهب بأرواحهم بعد أن يمثل بجسدهم هل يستبقون حياتهم أم هل يضحون بها في سبيل الحق الذي آمنوا به.

كانت النتيجة أن قالوا ما حكاه القرآن الكريم: ﴿ قَالُواْ لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلَّذِى فَطَرَنَا ۖ فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ ۖ إِنَّمَا تَقْضِى هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَآ ﴾ [طه: ٧٢].

أظهروا استخفافهم بوعيده وبتعذيبه إذ أصبحوا أهل إيمان ويقين وكذلك شأن المؤمنين بالرسل إذا أشرقت عليهم أنوار الرسالة فسرعان ما يكون انقلابهم عن جهالة

---

(١) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الحكيم، لأبي السعود (٣/ ٤٧٧).

(٢) في ظلال القرآن (٤/ ٢٣٤٣).

الكفر وقساوته إلى حكمة الإيمان وثباته ولنا في عمر بن الخطاب ونحوه ممن آمنوا بمحمد ﷺ مثل صدق[١].

وهكذا يضرب موسى عليه السلام وأتباعه من المؤمنين أروع الأمثلة في الصبر والثبات أمام كل هذه الضغوطات والتهديدات والنكال والتعذيب.

فكل ذلك لم يثنهم عن إيمانهم بل كانوا في وضعهم المهين معلمين لفرعون دروسًا في الصمود والإباء والشموخ، وكانوا في حالهم هذا مثالاً رائعًا في استعذاب العذاب والآلام وتحمل الأذى في سبيل الله، وكانت خسارة فرعون بقتلهم وتعذيبهم أكبر من خسارتهم؛ لأنهم ارتفعوا في أعين الناس وزادت مكانتهم وعظم شأنهم بينما هبط فرعون من عليائه وكبريائه إلى منزلة الوحوش والأنعام.

وكانت المشانق التي علقت لهم والصلبان التي مزقت أجسادهم مصباحًا ينير للإنسانية طريق الصراط المستقيم.

وكان بوقًا يهتف في آذان الغافلين أن هذا هو الصراط المستقيم فاتبعوه.

وكانت النتيجة النهائية فخرًا وشرفًا وعزًا للإيمان[٢].

قال تعالى: ﴿ فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٥﴾ فَجَعَلْنَٰهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْءَاخِرِينَ ﴾ [الزخرف: ٥٥-٥٦].

وقال تعالى أيضًا: ﴿ وَلَقَدْ جَآءَ ءَالَ فِرْعَوْنَ ٱلنُّذُرُ ﴿٤١﴾ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَٰهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُّقْتَدِرٍ ﴾ [القمر: ٤١-٤٢].

---

(١) التحرير والتنوير لابن عاشور، الجزء السادس عشر (٨/ ٢٦٦).

(٢) الحرب النفسية وأثرها في الأديان السماوية (ص١٨١، ١٨٢) باختصار.

بنو إسرائيل والحرب النفسية ضد موسى عليه السلام

شعب إسرائيل من الشعوب الغريبة الأطوار، المعقدة التركيب، شعب غليظ الرقبة بادي العداوة قاسي القلب لا قيمة عنده للعقيدة، ولا للأخلاق والقيم والمبادئ لا يقدس من ذلك شيء، تقديسه للمال والشهوات والملذات، يدوس على كل القيم والأعراف في سبيل متاع قليل فلا مانع لدى اليهودي أن يبيع عرضه مقابل حفنة قليلة من الذهب الأصفر، فإن بريقه أقدس لديه من كل شرف ومن كل خلق ومن كل عرض، وتاريخهم حافل بالأحداث الجسام(١).

والذي يعيش مع كتاب الله يجد أن القرآن الكريم قد أكثر من الحديث عن قوم غابرين وزراريهم المعاصرين للتنزيل، ولم يتحدث عن غيرهم معشار ما تحدث عنهم وهؤلاء القوم المغضوب عليهم هم اليهود، فتارة يحدثنا عنهم تحت عنوان «بني إسرائيل» وتارة يحدثنا عنهم تحت عنوان «اليهود»، وقد بلغ عدد السور التي تحدثت عن هؤلاء القوم اثنتين وعشرين سورة جلها من السور المدنية الطويلة وسميت أطول سورة في القرآن سورة البقرة لأنها تحدثت عن بقرة بني إسرائيل، وإن المتدبر لهذه الآيات يدرك أن القرآن الكريم يركز على طبيعتهم العدوانية وصفاتهم الذميمة من الكفر والكذب والغدر والخيانة ونقض العهد وتحريف الكلم عن موضعه وسوء الخلق والفحش والتفحش والاستهانة بالحق وأهله والاستهزاء بالأنبياء والشغب عليهم بصور كثيرة والتآمر عليهم وسفك دمائهم ودماء الذين يأمرون بالقسط من الناس.

وقد كشف القرآن الكريم حقيقة اليهود وهتك أستارهم وفضح مؤامراتهم، وبين وسائل مقاومتهم وذكر خصائصهم وصفاتهم وجرائمهم، والقرآن يصف اليهود الذين في عهد النبي ﷺ وقبله قتلة أنبياء ومغضوب عليهم لأن الأبناء لا يخرجون عن سياسة

---

(١) الحرب النفسية وأثرها في الأديان السماوية (ص١٨٤).

الآباء ويرضعون لبان الاعتداء والعدوان جيلاً بعد جيل، ويحملون الصفات الشريرة والأخلاق السيئة، ويتواصون بها على مرور الأيام وفي كل الأجيال.

نعم إن اليهود هم الذين قتلوا زكريا عليه السلام وقتلوا ولده السيد الحصور يحيى عليه السلام إذ قامت راقصة اسمها سلامة تطلب رأس يحيى من الحاكم الظالم الفاجر حتى تلبي له ما يريد من فسق وفجور وقطع رأس نبي من أجل بغي من بغايا بني إسرائيل.

وهم الذين تآمروا على عيسى عليه السلام وأرادوا قتله ويفخرون بأنهم قتلوه، ولكن الله تبارك وتعالى نجاه منهم ورفعه وطهره من رجسهم.

واليهود هم الذين تآمروا على قتل نبينا ﷺ في المدينة حينما اتفق يهود بني النضير أن يلقى على رأس النبي حجرًا ضخمًا من سطح المنزل الذي كان يتكئ عليه مسندًا ظهره إليه فنجاه الله من هذه المؤامرة الخبيثة وأعانه على تطهير المدينة منهم.

أليس أبناء وذراري الجيل الإسرائيلي الذين كانوا مع موسى هم الذين قتلوا رسول الله ﷺ فوضعوا له السم في الشاة المصلية بخيبر عن طريق يهودي حاقد.

فقد روى الإمام البخاري رحمه الله تعالى بإسناده إلى عائشة رضي الله عنها قالت: كان النبي ﷺ يقول في مرضه الذي مات فيه: «**يا عائشة ما أزال أجد ألم الطعام الذي أكلت بخيبر فهذا أوان وجدت انقطاع أبهري من ذلك السم**»[(١)].

وهؤلاء الإسرائيليون بأجيالهم المتعاقبة يتمتعون بنفسية شريرة، وطوية خبيثة وسيرتهم تدل على أنهم أعداء لكل نبي ولكل رسول ولكل صالح من الناس لا يتورعون عن قتله إذا اقتضت مصلحتهم المادية ذلك.

قال تعالى: ﴿وَيَقْتُلُونَ ٱلَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِٱلْقِسْطِ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ٢١].

---

(١) صحيح البخاري، من فتح الباري (٩/ ١٩٥)، والأبهر عرض مستبطن بالظهر متصل بالقلب إذا انقطع مات صاحبه، انظر فتح الباري بشرح صحيح البخاري (٩/ ١٩٦).

وواقع اليهود اليوم في عالمنا المعاصر يدل على هذه الصفة العدوانية الدموية الحاقدة فهم الذين حرقوا المسجد الأقصى ومنبر صلاح الدين الأيوبي وهم الذين رموا المصلين فيه بالرصاص، وهم الذين يريدون هدم المسجد الأقصى وتدميره وبناء الهيكل المزعوم مكانه، وهم الذين رموا المصلين في فجر منتصف رمضان في المسجد الإبراهيمي في الخليل، وعدوا الذي قتل العشرات من الركع السجود من أبطالهم ومن قديسيهم.

وهم الذين شنوا المذابح في فلسطين وخارج فلسطين ضد هذا الشعب الفلسطيني المسلم في قبيه ودير ياسين وحوسان وفوكين وتل الزعتر بمشاركة إخوانهم الصليبيين.

إن الذي حدثنا عن هذه النفسية العدوانية الدموية الخبيثة وحكم عليهم الحكم العادل هو الله تبارك وتعالى فهو أحكم الحاكمين وأعدل العادلين، والمسلم يتلوا هذا الحكم في كل صلاة في فاتحة الكتاب[١]:

وإذا كان ما سبق استعراض موجز لتاريخ بني إسرائيل قديمًا وحديثًا.

وإذا كنا بصدد الحديث عن حربهم النفسية مع موسى عليه السلام.

فلقد عانى موسى عليه السلام من سلوك بني إسرائيل أشد المعاناة، وقد شن بنو إسرائيل على موسى عليه السلام حربًا نفسية شعواء لا هوادة فيها وهي فوق طاقة أي بشر عادى، ولولا ما ركب في طبع نبي الله موسى من القوة والبأس وشدة التحمل لكان من أمره شأن آخر مع بني إسرائيل[٢].

ولقد تمثلت وسائل بني إسرائيل في حربهم النفسية ضد موسى عليه السلام فيما يلي:

أولاً: انحراف العقيدة.

---

(١) شغب اليهود على الأنبياء، د/ محمد عبد القادر أبو فارس، مرجع سابق (ص١٢).

(٢) الحرب النفسية وأثرها في الأديان السماوية (ص٨٦).

ثانيًا: التحدي والتعجيز.

ثالثًا: التمرد والعصيان.

رابعًا: المراوغة.

خامسًا: الإيذاء.

أولاً: انحراف العقيدة وأثره على نفس موسى عليه السلام:

ما أشد انحراف عقيدة الأتباع على نفس النبي أو المصلح خاصة وإذا كان هذا بعد رحلة جهاد طويلة كابد فيها المتاعب والمصاعب.

كان موسى عليه السلام أكثر الأنبياء معاناة من قومه من جراء تلك الآفة المتأصلة فيهم والتي بدت مظاهرها في كثير من المواقف منها:

أ- موقفهم عند رؤيتهم لجنود فرعون.

ب- طلبهم أن يجعل لهم إلهًا.

ج- عبادتهم العجل.

أ- موقفهم عند رؤيتهم لجنود فرعون:

وقت أن رأى بنو إسرائيل فرعون وجنوده قد تبعوهم وقربوا منهم، ولما رأوا البحر أمامهم وجنود فرعون من خلفهم غابت عقيدتهم وبان انحرافها، فبدلاً من أن يتضرعوا لله رب العالمين ويسألوه الصبر والثبات ويبذلون أنفسهم للشهادة في سبيله جزعوا وفزعوا ونطقوا لأول وهلة ﴿ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴾ .

وهي كلمة تنبئ عن خور العزائم وضعف النفوس، ولنا أن نتخيل مدى وقع هذه العبارة على نفس موسى عليه السلام من أتباعه بعد رحلة العذاب المريرة.

يقول العلامة ابن عاشور في تفسير قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴾ [الشعراء: ٦١] ما يفيد أن قولهم هذا جزع منهم ولذلك رد عليهم موسى بقوله: ﴿ كَلَّآ ﴾ .

﴿ فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ ﴾ أي لما بلغ فرعون وجنوده قريبًا من جموع بني إسرائيل بحيث يرى كل فريق منهما الفريق الآخر، وقوله ﴿ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴾ بالتأكيد لشدة الاهتمام بهذا الخبر وهو مستعمل في معنى الجزع وكلمة ﴿ كَلَّآ ﴾ ردع به موسى ظنهم أنهم يدركهم فرعون، وعلل ردعهم عن ذلك بجملة ﴿ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴾ [الشعراء: ٦٢][(١)].

ومع ردع موسى عليه السلام لهم إلا أن موقفهم الخائر هذا قد أثر في نفسه ولا شك لم لا والقائد يرى جنوده ينسونه وينسون سبب عزتهم ونصرتهم وهو الله عز وجل في أول اختبار وأمام أول عقبة.

ب- طلبهم أن يجعل لهم إلهًا:

من مظاهر انحراف عقيدة اليهود والذي كان حربًا نفسية شديدة على موسى عليه السلام طلبهم منه أن يجعل لهم إلهًا صنمًا مثل إله قوم مروا عليهم.

والعجيب أن يطلبوا من ذلك قبل أن تجف أقدامهم من ماء البحر الذي نجاهم الله بالمرور منه من فرعون وجنوده، فهل يرى الإنسان صلفًا مثل هذا الصلف، وعتامة قلب وغشاوة بصر مثل هذا.

ويحكي لنا القرآن مقولتهم ورد موسى عليه السلام في قوله تعالى: ﴿ وَجَٰوَزْنَا بِبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتَوْا۟ عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصْنَامٍ لَّهُمْ ۚ قَالُوا۟ يَٰمُوسَى ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿١٣٨﴾ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ مُتَبَّرٌ مَّا هُمْ فِيهِ وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٣٩﴾ قَالَ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَٰهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٤٠﴾ وَإِذْ أَنجَيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يُقَتِّلُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴾ [الأعراف: ١٣٨-١٤١].

---

(١) التحرير والتنوير لابن عاشور، الجزء التاسع عشر (٩/ ١٣٥).

يقول العلامة الألوسي في تفسيره لهذه الآيات:

﴿ وَجَٰوَزۡنَا بِبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱلۡبَحۡرَ ﴾ شروع بعد انتهاء قصة فرعون في قصة بني إسرائيل وشرح ما أحدثوه بعد أن من الله تعالى عليهم بما من وأراهم من الآيات ما أراهم.

وهو تسلية للرسول ﷺ عما رآه من اليهود بالمدينة فإنهم جروا معه على دأب أسلافهم مع أخيه موسى عليه السلام وإيقاظ المؤمنين أن لا يغفلوا عن محاسبة أنفسهم، ومراقبة نعم الله تعالى عليهم.

﴿ وَجَٰوَزۡنَا ﴾ أي قطعنا البحر بهم، والمراد بالبحر بحر القلزم وقيل إنه نيل مصر وعن الكلبي[1] أن موسى عليه السلام عبر بهم يوم عاشوراء بعد أن أهلك الله فرعون وجنوده فصاموه شكرًا لله تعالى.

﴿ فَأَتَوۡاْ ﴾ أي مروا بعد المجاوزة.

﴿ عَلَىٰ قَوۡمٖ ﴾ قال قتادة كانوا من العمالقة الكنعانيين.

﴿ يَعۡكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصۡنَامٖ لَّهُمۡۚ ﴾ أي يواظبون على عبادتها ويلازمونها.

قيل كانت التماثيل بقر من نحاس، وقيل كانت من حجارة، قالوا عندما شاهدوا ذلك ﴿ يَٰمُوسَى ٱجۡعَل لَّنَآ إِلَٰهٗا ﴾ مثالاً نعبده.

﴿ كَمَا لَهُمۡ ءَالِهَةٞۚ ﴾ يعبدونها.

﴿ قَالَ إِنَّكُمۡ قَوۡمٞ تَجۡهَلُونَ ﴾ تعجب عليه السلام من قولهم هذا بعد ما شاهدوه من الآية الكبرى والبينة العظمى، فوصفهم بالجهل على أتم وجه، أي تجهلون كل شيء[2].

---

(١) هو محمد بن السائب بن بشر بن عمر الكلبي الكوفي المفسر روى عن أخويه سفيان وسلمة وروى عنه ابن هشام وابن جرير ومحمد بن مروان، قال ابن معين: ليس بشيء، وقال ابن حجر: متهم بالكذب ورمي بالرفض، توفي سنة ٤٦هـ، رحمه الله، انظر: تهذيب التهذيب (٥/ ١١٦)، المجروحين (٢/ ٢٥٣).

(٢) روح المعاني للألوسي، الجزء التاسع (٦/ ٦٢).

ولكن هؤلاء القوم أعني بني إسرائيل أشد خلق الله عنادًا وجهلاً وتلونًا[١].

﴿ إِنَّ هَـٰٓؤُلَآءِ ﴾ أي القوم الذين يعكفون على هذه الأصنام.

﴿ مُتَبَّرٌ ﴾ أي مدمر مهلك، كما قال ابن عباس.

﴿ مَّا هُمۡ فِيهِ ﴾ من الدين، يعني يدمر الله تعالى دينهم الذي هم عليه على يدي ويهلك أصنامهم ويجعلها فتاتًا.

﴿ وَبَٰطِلٞ ﴾ أي مضمحل بالكلية.

﴿ مَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴾ أي ما استمروا على عمله من عبادتها وإن قصدوا بذلك التقرب إلى الله، والمراد أن ذلك لا ينفعهم أصلاً[٢]، ثم ذكرهم بنعم الله وأنها ما ينبغي أن تقابل بهذا.

﴿ قَالَ أَغَيۡرَ ٱللَّهِ أَبۡغِيكُمۡ إِلَٰهٗا ﴾ الاستفهام للإنكار والتوبيخ أي كيف أطلب لكم غير الله إلهًا تعبدونه وقد شاهدتم من آياته العظام ما يكفي البعض منه.

﴿ وَهُوَ فَضَّلَكُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ أي والحال أنه فضلكم على العالمين من أهل عصركم بما أنعم عليكم من إهلاك عدوكم واستخلافكم في الأرض وإخراجكم من الذل والهوان إلى العز والرفعة، فكيف تقابلون هذه النعم بطلب عبادة غيره[٣].

وهكذا كان انحراف عقيدة بني إسرائيل قد بلغ المدى ولم لا وهم قد نكثوا إلى جاهلية بعد أن رفعهم الله بالإسلام وهم قد جحدوا النعمة ونسوها بعد أن لم يكن قد مر عليها زمن يذكر، ولنا أن نتخيل ما قد يحدث كل هذا من أثر أليم على نفس موسى عليه السلام فمثله ومثلهم كالمنادي على صم أو كالمخاطب قومًا أموات.

---

(١) فتح القدير للشوكاني (٢/ ٢٥٢).

(٢) روح المعاني للألوسي (٢/ ١٦).

(٣) فتح القدير للشوكاني (٢/ ٢٥٢).

openkandil.com

ج- عبادتهم العجل:

مظهر ثالث من مظاهر انحراف عقيدة بني إسرائيل في عهد موسى عليه السلام، لعب دورًا كبيرًا في التأثير النفسي السيئ على نفسيته عليه السلام وأنه لأشد إيلامًا لنفسه من المظهر السابق بل يزيد عنه درجات في التحديث والسفور والجهر بالكفر وإعلان الحرب على موسى عليه السلام إذ اتخذوا إلهًا صنعوه بأيديهم وخروا له ساجدين من دون الله، وذلك على الرغم من وجود موسى عليه السلام بين أظهرهم، والصورة تتمثل في خروج موسى عليه السلام إلى البقعة المباركة ليكلم الله تعالى ويأخذ منه العهد والميثاق ويتلقى عنه التشريع والدستور والهدي الرباني، فيستغلون غيبة موسى عليه السلام ويستجيبون لدعوة أفاك يعيش بينهم إنه السامري لقد جمع الذهب الذي سرقوه من المصريين، وصنع منه عجلاً جسدًا لا روح فيه ولا لحم ولا دم ولا عقل ولا قدرة له على الكلام ولا على النفع ولا على الضر، ووضع هذا العجل الجسد الخالي من كل أسباب الحياة في مهب الريح حتى يخرج منه صوت شبيه بخوار البقر، وزعم كاذب أن الإله الذي ذهب إليه موسى هو هذا العجل الذهبي ودعاهم إلى عبادته فأجابوه إلى طلبه لموافقة هواهم وانحراف عقيدتهم(١).

ولقد صور لنا القرآن الكريم هذا المشهد كما صور لنا وقعة على نفسية موسى عليه السلام وما أحدثت فيه من إيلام نفسي تمثل في شدة الغضب والثورة حتى ألقى الألواح فتكسر منها ما تكسر، قال تعالى: ﴿ وَٱتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ ۚ أَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا ۘ ٱتَّخَذُوهُ وَكَانُوا۟ ظَٰلِمِينَ ﴿١٤٨﴾ وَلَمَّا سُقِطَ فِىٓ أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا۟ أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا۟ قَالُوا۟ لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿١٤٩﴾ وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِى مِنۢ بَعْدِىٓ ۖ أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ ۖ وَأَلْقَى ٱلْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ

(١) شغب اليهود على الأنبياء، لمحمد عبد القادر أبو فارس (ص١٨).

تجُرُّهُۥٓ إِلَيۡهِۚ قَالَ ٱبۡنَ أُمَّ إِنَّ ٱلۡقَوۡمَ ٱسۡتَضۡعَفُونِي وَكَادُواْ يَقۡتُلُونَنِي فَلَا تُشۡمِتۡ بِيَ ٱلۡأَعۡدَآءَ وَلَا تَجۡعَلۡنِي مَعَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ١٥٠ قَالَ رَبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَلِأَخِي وَأَدۡخِلۡنَا فِي رَحۡمَتِكَۖ وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾ [الأعراف: ١٤٨-١٥١].

﴿ وَٱتَّخَذَ قَوۡمُ مُوسَىٰ مِنۢ بَعۡدِهِۦ ﴾ أي بعد خروجه إلى الطور، ﴿ مِنۡ حُلِيِّهِمۡ ﴾ التي استعاروها من قوم فرعون، ومن للتبعيض أو للابتداء أو للبيان وأضيفت الحلي إليهم وإن كانت لغيرهم لأن الإضافة تجوز لأدنى ملابسة.

﴿ عِجۡلٗا جَسَدٗا ﴾ بدنًا ذا لحم ودم أو جسدًا من الذهب خاليًا من الروح[١].

ونسب اتخاذ العجل إلى القوم جميعًا مع أنه اتخذه السامري وحده لكونه واحدًا منهم وهم راضون بفعله، روى أنه لما واعد موسى قومه ثلاثين ليلة فأبطأ عليهم في العشر المزيدة، قال السامري لبني إسرائيل وكان مطاعًا فيهم إن معكم حلي من حلي آل فرعون الذي استعرتموه منهم لتتزينوا به في العيد وخرجتم وهو معكم وقد أغرق الله أهله من القبط فهاتوه، فدفعوها إليه فاتخذ منها العجل المذكور.

﴿ أَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمۡ ﴾ الاستفهام للتقريع والتوبيخ، أي ألم يعتبروا بأن هذا الذي اتخذوه إلهًا لا يقدر على تكليمهم، فضلاً على أن يقدر على جلب نفع لهم أو دفع ضر عنهم.

﴿ وَلَا يَهۡدِيهِمۡ سَبِيلًا ﴾ أي طريقًا واضحًا يسلكونه.

﴿ ٱتَّخَذُوهُ ﴾ تكرير للذنب أي اتخذوه إلهًا[٢].

﴿ وَكَانُواْ ظَٰلِمِينَ ﴾ واضعين الأشياء في غير موضعها فلم يكن اتخاذ العجل بدعًا منهم[٣].

---

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي (١/ ٣٦٠).
(٢) فتح القدير للشوكاني (٢/ ٢٦٠).
(٣) أنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي (١/ ٣٥٩).

obeikandl.com

﴿ وَلَمَّا سُقِطَ فِيٓ أَيۡدِيهِمۡ ﴾ أي ندموا وتحيروا بعد عودة موسى من الميقات، وقيل كناية عن اشتداد ندمهم، ومعناه سقط الندم في أنفسهم(١).

﴿ وَرَأَوۡاْ ﴾ وعلموا، ﴿ أَنَّهُمۡ قَدۡ ضَلُّواْ ﴾ باتخاذ العجل، ﴿ لَئِن لَّمۡ يَرۡحَمۡنَا رَبُّنَا ﴾ بإنزال التوراة، ﴿ وَيَغۡفِرۡ لَنَا ﴾ بالتجاوز عن الخطيئة، ﴿ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴾(٢).

﴿ وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ غَضۡبَٰنَ أَسِفٗا ﴾ هذا بيان لما وقع من موسى بعد رجوعه، وأسفًا شديد الغضب، وقال ابن عباس والسدي: أسفًا أي حزينًا والأسف أشد الحزن(٣).

قال ابن جرير الطبري: أخبره الله قبل رجوعه بأنهم قد فتنوا ولذلك رجع وهو غضبان أسفًا.

﴿ قَالَ بِئۡسَمَا خَلَفۡتُمُونِي مِنۢ بَعۡدِيٓۖ ﴾ هذا من موسى لقومه، أي بئس العمل ما عملتموه من بعدي أي من بعد غيبتي عنكم، استنكر عليهم ما فعلوه وذمهم لكونهم قد شاهدوا من الآيات ما يوجب بعضه الانزجار والإيمان لله وحده، ولكن هذا شأن بني إسرائيل في تلون حالهم واضطراب أفعالهم.

ثم قال منكرًا عليهم ﴿ أَعَجِلۡتُمۡ أَمۡرَ رَبِّكُمۡۖ ﴾ والعجلة التقدم بالشيء قبل وقته، يقال عجلت الشيء: سبقته، والمعنى: أعجلتم عن انتظار أمر ربكم أي ميعاده الذي وعدنيه وهو الأربعون، ففعلتم ما فعلتم، وقيل معناه: تعجلتم سخط ربكم، وقيل معناه: أعجلتم بعبادة العجل قبل أن يأتيكم أمر ربكم.

﴿ وَأَلۡقَى ٱلۡأَلۡوَاحَ ﴾ أي طرحها لما اعتراه من شدة الغضب والأسف حين أشرف على قومه وهم عاكفون على عبادة العجل.

---

(١) فتح القدير للشوكاني (٢/ ٢٥٩).
(٢) أنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي (١/ ٣٥١).
(٣) معالم التنزيل للبغوي (٢/ ٢٠١).

obeikandl.com

﴿ وَأَخَذَ بِرَأۡسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُۥٓ إِلَيۡهِۚ ﴾ أي أخذ برأس أخيه هارون أو بشعر رأسه حال كونه يجره إليه.

فقال هارون معتذرًا منه ﴿ ٱبۡنَ أُمَّ إِنَّ ٱلۡقَوۡمَ ٱسۡتَضۡعَفُونِي وَكَادُواْ يَقۡتُلُونَنِي ﴾ أي أني لم أطق تغيير ما فعلوه لهذين الأمرين استضعافهم لي ومقاربتهم لقتلي.

﴿ فَلَا تُشۡمِتۡ بِيَ ٱلۡأَعۡدَآءَ ﴾ والشماتة السرور من الأعداء بما يصيب من يعادونه من المصائب ومنه قوله ﷺ : «**اللهم إني أعوذ بك من سوء القضاء ودرك الشقاء وجهد البلاء وشماتة الأعداء**»(١)، والمعنى لا تفعل بي ما يكون سببًا للشماتة منهم.

﴿ وَلَا تَجۡعَلۡنِي مَعَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ أي لا تجعلني بغضبك علي في عداد القوم الظالمين الذي عبدوا العجل، أو لا تعتقد أني منهم(٢).

وهكذا قاسى موسى عليه السلام الكثير من أثر انحراف عقيدة اليهود وهم القوم الذي بذل من أجلهم الكثير، ولاقى من أجلهم الصعاب وأراهم من آيات الله ما تخضع به القلوب وتقنت لله رب العالمين، وإذا بهم بعد كل هذا يصدمونه الصدمة تلو الصدمة.

ففي البداية تجزع نفوسهم وتخر عزائمهم أمام أول اختبار لقوة عقيدتهم، فإذا هم راسبون، ثم يريهم الله آية في إنقاذهم من فرعون وجنوده، يجعلهم يمرون من البحر بدون أذى من فرعون أو غرق وقبل أن تجف أقدامهم من ماء البحر يظهرون بمظهر آخر لانحراف العقيدة وهو طلبهم من موسى أن يجعل لهم إلهًا صنمًا مثل إله القوم الذين مروا بهم، ثم يغيب عنهم فترة قصيرة من الزمن، وإذا بهم يضيعون كل تعبه ويعبدون عجلاً من دون الله، فهل ترى قلوبًا أقسى من هذه القلوب، وأبصارًا أشد

---

(١) أخرجه الإمام مسلم، باب في التعوذ من سوء القضاء ودرك الشقاء وغيره (٤/ ٢٠٨٠) حديث رقم (٢٧٠٧).

(٢) فتح القدير للشوكاني (٢/ ٢٦٠، ٢٦١).

obeikandi.com

عمى من هذه الأبصار، وعقول مصمتة عن الخير مثل هذه العقول، إنها قسوة قلوب كافرة جاثية قاسية.

وهل رأيت قومًا أذاقوا نبيهم أذى نفسيًا مثل ما أذاق موسى عليه السلام قومه، حتى حق لهارون عليه السلام أن يسميهم أعداء ويخاف من شماتتهم.

ثانيًا: التحدي والتعجيز:

من صور الحرب النفسية التي لاقاها موسى عليه السلام من قومه بصورة شديدة البشاعة والشراسة تحديهم له ومحاولتهم تعجيزه بطلب أمور ما من شأنهم أن يطلبوها، وما من شأنه عليه السلام أن يجيبهم إليها، ومن هذه المطالب:

أنهم لما تابوا من عبادة العجل أمر الله سبحانه وتعالى موسى عليه السلام أن يختار سبعين رجلاً من بني إسرائيل ممن عبدوا العجل ليعتذروا إلى الله تبارك وتعالى عما اقترفوه من الشرك والكفر، قال لهم موسى صوموا وتطهروا وطهروا ثيابكم استعدادًا للقاء ربكم، وخرج بهم موسى إلى طور سيناء، فلما دنا من الجبل وكلمه ربه، وانتظر موسى هؤلاء القوم أن يعتذروا عما بدا منهم من كفر وشرك فقالوا: ﴿ لَن نُّؤۡمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهۡرَةً ﴾ تأمل إذا كان هؤلاء هم خيرة بني إسرائيل من الجيل الذي كان مع موسى يتصرفون هذا التصرف القبيح فيرفضون الاعتذار عما بدا منهم، بل لم يصدقوا موسى عليه السلام فيما أخبرهم عن الرب في مناجاته، فما بالك بعامة القوم منهم[1].

ولقد صور القرآن الكريم ما حدث في ذلك بين موسى عليه السلام وقومه إذ يقول الله تعالى: ﴿ وَٱخۡتَارَ مُوسَىٰ قَوۡمَهُۥ سَبۡعِينَ رَجُلٗا لِّمِيقَٰتِنَاۖ فَلَمَّآ أَخَذَتۡهُمُ ٱلرَّجۡفَةُ قَالَ رَبِّ لَوۡ شِئۡتَ أَهۡلَكۡتَهُم مِّن قَبۡلُ وَإِيَّيَۖ أَتُهۡلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآۖ إِنۡ هِيَ إِلَّا فِتۡنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ وَتَهۡدِي مَن تَشَآءُۖ أَنتَ وَلِيُّنَا فَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَاۖ وَأَنتَ خَيۡرُ

(١) شغب اليهود (ص٢٧) مرجع سابق.

ٱلْغَٰفِرِينَ ﴾ [الأعراف: ١٥٥].

يقول العلامة القاسمي[١] في تفسيره لهذه الآية: روى محمد بن إسحاق[٢] أن موسى عليه السلام لما رجع إلى قومه فرأى ما هم فيه من عبادة العجل، وقال لأخيه والسامري ما قال وحرق العجل وذراه في اليم، اختار من بني إسرائيل سبعين رجلاً، الخير فالخير، وقال: انطلقوا إلى الله فتوبوا إليه مما صنعتم واسألوه التوبة على من تركتم وراءكم من قومكم، صوموا وتطهروا وطهروا ثيابكم وخرج بهم إلى طور سيناء لميقات وقته له ربه، وكان لا يأتيه إلا بإذن منه وعلم، فقال له السبعون حين صنعوا ما أمرهم به، وخرجوا معه للقاء ربه يا موسى اطلب لنا نسمع كلام ربنا فقال: افعل، فلما دنا موسى من الجبل وقع عليه عمود الغمام وسمعوا كلام الله عز وجل وهو يكلم موسى عليه السلام يأمره وينهاه افعل ولا تفعل، فلما فرغ إليه من أمره وانكشف عن موسى الغمام أقبل إليهم، فقالوا لموسى ﴿ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً ﴾ [البقرة: ٥٥].

فأخذتهم الصاعقة وهي الصاعقة التي يحصل منها الاضطراب الشديد فماتوا جميعًا، فقام موسى يناشد ربه ويدعوه ويرغب إليه ويقول: ﴿ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّىَ ﴾.

وفي رواية عن السدي[٣] قام موسى يبكي ويقول: يا رب ماذا أقول لبني إسرائيل

(١) هو جمال الدين أو محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق، ولد في دمشق سنة ١٢٨٣هـ، وكانا إمامًا للشام في عصره، ومن مصنفاته «دلائل التوحيد»، و«تنبيه الطالب إلى معرفة الفرض والواجب»، و«جوامع الآداب في أخلاق الأنجاب» وغيرها، توفي بدمشق سنة ١٣٣٢هـ. انظر: الأعلام للزركلي (٢/ ١٣٥).

(٢) هو محمد بن إسحاق بن يسار من المحدثين خاصة في المغازي، وكان الزهري يثني عليه بذلك ويفضله على غيره وهو مدني، توفي ببغداد سنة إحدى وخمسين ومائة هجرية. انظر: السيرة النبوية لابن هشام، تحقيق محمد فهمي السرجاني (١/ ٦) طبعة دار الفكر.

(٣) السدي هو: إسماعيل بن عبد الرحمن بن أبي كريمة، الإمام المفسر أبو محمد الحجازي، ثم الكوفي الأعور السدي، أحد موالي قريش، حدث عن أنس وابن عباس، وعبد خير الهمذاني وغيرهم،

إذا لقيتهم وقد أهلكت خيارهم[١] ﴿ رَبِّ لَوۡ شِئۡتَ أَهۡلَكۡتَهُم مِّن قَبۡلُ وَإِيَّـٰيَ ﴾ [الأعراف: ١٥٥].

أي: لو شئت أهلكتهم من قبل خروجنا وإياي، فكان بنو إسرائيل يعاينون ذلك ولا يتهمونني.

﴿ أَتُهۡلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآ ﴾ هذا استفهام استعطاف.

﴿ ٱلسُّفَهَآءُ ﴾ عبدة العجل، قال الفراء: ظن موسى أنهم أهلكوا باتخاذ أصحابهم العجل، وإنما أهلكوا بقولهم ﴿ أَرِنَا ٱللَّهَ جَهۡرَةً ﴾ .

﴿ إِنۡ هِيَ إِلَّا فِتۡنَتُكَ ﴾ ابتلاؤك أو عذابك، ﴿ أَنتَ وَلِيُّنَا ﴾ ناصرنا وحافظنا[٢].

وهكذا كان تحدي بني إسرائيل لموسى عليه السلام تحد سافر كالح لا حياء فيه ولا إيمان فهم قوم لا يؤمنون إلا بما يرونه رأي العين.

وهكذا كانت وسيلة التحدي من وسائل الحرب النفسية التي استخدمها بنو إسرائيل مع موسى عليه السلام.

ثالثًا: التمرد والعصيان:

مظهر آخر يتجلى في حرب بني إسرائيل النفسية ضد موسى عليه السلام، إذ يأخذ عليهم ميثاق الله وعهده بأن يطيعوا الله ويطيعوه ويلتزموا بأوامره، وما يلبثون أن يعصون ويخالفوا أوامر الله، وفي تمردهم هذا على موسى عليه السلام الأثر الأليم على نفسه شأن كل قائد يتمرد عليه أتباعه وما بالك وهذا ليس أي قائد بل قائد مرسل من

=

وحدث عنه شعبة وسفيان الثوري وزائدة وغيرهم، توفي سنة مائة وسبع وعشرين هجرية، انظر: سير أعلام النبلاء للإمام شمس الدين الذهبي، ط/ مؤسسة الرسالة، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م (٥/ ٢٦٤، ٢٦٥).

(١) محاسن التأويل للقاسمي (٧/ ٢٨٦٥).

(٢) زاد المسير لابن الجوزي (٣/ ٢٦٩).

عند الله يحب الهداية لقومه وحريص عليهم.

قال الله تعالى: ﴿ وَإِذۡ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَكُمۡ وَرَفَعۡنَا فَوۡقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُواْ مَآ ءَاتَيۡنَٰكُم بِقُوَّةٖ وَٱسۡمَعُواْۖ قَالُواْ سَمِعۡنَا وَعَصَيۡنَا وَأُشۡرِبُواْ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلۡعِجۡلَ بِكُفۡرِهِمۡۚ قُلۡ بِئۡسَمَا يَأۡمُرُكُم بِهِۦٓ إِيمَٰنُكُمۡ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴾ [البقرة: ٩٣].

يقول العلامة أبو السعود:

﴿ وَإِذۡ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَكُمۡ ﴾ توبيخ من جهة الله تعالى وتكذيب لهم في ادعائهم الإيمان بما أنزل عليهم بتذكير جناياتهم الناطقة بكذبهم أي واذكروا حين أخذنا ميثاقكم ﴿ وَرَفَعۡنَا فَوۡقَكُمُ ٱلطُّورَ ﴾ قائلين ﴿ خُذُواْ مَآ ءَاتَيۡنَٰكُم بِقُوَّةٖ وَٱسۡمَعُواْۖ ﴾ أي خذوا بما أمرتم به في التوراة واسمعوا ما فيها سمع طاعة وقبول.

﴿ قَالُواْ ﴾ استئناف مبني على سؤال سائل كأنه قيل، فماذا قالوا، قيل: ﴿ قَالُواْ سَمِعۡنَا ﴾ قولك ﴿ وَعَصَيۡنَا ﴾ أمرك[1].

والمعنى: أنهم قبلوا الميثاق وفهموه، ولكنهم لم يعملوا به بل خالفوه تعنتًا وتأولاً[2].

فإذا قابل أسلافهم مثل ذلك الخطاب المؤكد مع مشاهدتهم مثل تلك المعجزة الباهرة بمثل هذه العظيمة الشنعاء، وكفروا بما في تضاعيف التوبة، فكيف يتصور من أخلافهم الإيمان بما فيها.

﴿ وَأُشۡرِبُواْ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلۡعِجۡلَ ﴾ على حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه للمبالغة، أي تداخلهم حبه ورسخ في قلوبهم صورته لفرط شغفهم به، وحرصهم على عبادته.

---

(١) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الحكيم، لأبي السعود (١/ ١٥٧).

(٢) تفسير المنار لمحمد رشيد رضا (١/ ٣١٥).

﴿ بِكُفْرِهِمْ ﴾ بسبب كفرهم السابق[١].

أي سبب هذا الحب الشديد لعبادة العجل، وهو ما كانوا عليه من الوثنية في مصر[٢].

حقًا إنها حالة حرجة محرجة لموسى عليه السلام وهو يواجه هذا العناد وهذا الرفض، وهذا الصلف والحمق والحماقة من أناس أغلقوا قلوبهم وعقولهم عن الحق وإدراكه وقبوله[٣].

لقد حكى القرآن الكريم بعض الصور التي تجلت فيها رذيلة التمرد والعصيان لدى بني إسرائيل من هذه الصور أنهم عصوا أمر موسى عليه السلام برفضهم القيام بواجب القتال ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنۢبِيَآءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا وَءَاتَىٰكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٠﴾ يَٰقَوْمِ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِى كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِكُمْ فَتَنقَلِبُوا۟ خَٰسِرِينَ ﴿٢١﴾ قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا فَإِنَّا دَٰخِلُونَ ﴿٢٢﴾ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمَا ٱدْخُلُوا۟ عَلَيْهِمُ ٱلْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَٰلِبُونَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٣﴾ قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَآ أَبَدًا مَّا دَامُوا۟ فِيهَا ۖ فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ ﴿٢٤﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِى وَأَخِى ۖ فَٱفْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٥﴾ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ ۛ أَرْبَعِينَ سَنَةً ۛ يَتِيهُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۗ فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾ [المائدة: ٢٠-٢٦].

مناسبة موقع هذه الآية هنا وهي ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ ...﴾ :

---

(١) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الحكيم، لأبي السعود (١/ ١٥٧).
(٢) تفسير المنار (١/ ٣١٦).
(٣) شغب اليهود على الأنبياء (ص٣٢).

أن القصة مشتملة على تذكير بنعم الله تعالى عليهم وحثهم على الوفاء بما عاهدوا الله عليه من الطاعة تمهيدًا لطلب امتثالهم، وقدم موسى عليه السلام أمره لبني إسرائيل بحرب الكنعانيين بتذكيرهم بنعمة الله عليه ليهيئ نفوسهم إلى قبول هذا الأمر العظيم عليهم، وليثقوا بالنصر إن قاتلوا أعداءهم فذكر نعمة الله عليهم وعدها لهم ثلاث نعم عظيمة.

أولاً: أن فيهم أنبياء.

ثانيًا: أن جعلهم ملوك.

ثالثًا: أن أتاهم ما لم يؤت أحدًا من العالمين[١].

﴿ يَٰقَوۡمِ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡأَرۡضَ ٱلۡمُقَدَّسَةَ ﴾ معنى المقدسة المطهرة وهي المطهرة من الشرك وقيل المباركة والمراد بالأرض، قيل: إنها أريحا وهي أرض بيت المقدس، وقيل أنها الطور وما حوله وقيل إنها دمشق وفلسطين وقيل إنها الشام كلها.

﴿ ٱلَّتِي كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمۡ ﴾ بمعنى أمركم وفرض عليكم دخولها.

﴿ وَلَا تَرۡتَدُّواْ عَلَىٰٓ أَدۡبَارِكُمۡ ﴾ لا ترجعوا عن أمر الله إلى معصيته[٢].

﴿ قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ فِيهَا قَوۡمًا جَبَّارِينَ ﴾ أي عظام الأجسام طوال.

﴿ وَإِنَّا لَن نَّدۡخُلَهَا ﴾ يعني البلدة وهي إيلياء.

﴿ حَتَّىٰ يَخۡرُجُواْ مِنۡهَا ﴾ أي حتى يسلموها لنا من غير قتال.

﴿ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ ﴾ قيل هما يوشع وكالب بن يوقنا.

﴿ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمَا ﴾ بنعمة الإسلام، أو باليقين والصلاح.

﴿ ٱدۡخُلُواْ عَلَيۡهِمُ ٱلۡبَابَ فَإِذَا دَخَلۡتُمُوهُ فَإِنَّكُمۡ غَٰلِبُونَ ﴾ والمعنى: لا يهولنكم عظم أجسامهم فقلوبهم مليئة رعبًا منكم فأجسامهم عظيمة وقلوبهم ضعيفة، وكانوا قد

---

(١) التحرير والتنوير الجزء السادس (٤/ ١٦١).

(٢) زاد المسير (٢/ ٣٢٣، ٣٢٤) باختصار.

علموا أنهم إذا دخلوا من هذا الباب كان لهم الغلبة.

﴿ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴾ مصدقين به فإنه ينصركم.

قيل لما قالا هذا الكلام أراد بنو إسرائيل رجمهما بالحجارة[1].

﴿ إِنَّا لَن نَّدۡخُلَهَآ ﴾ نعني لدخولهم في المستقبل على وجه التأكيد الميئس.

﴿ أَبَدًا ﴾ تعليق بالنفي المؤكد بالدهر المتطاول.

﴿ مَّا دَامُواْ فِيهَا ﴾ بيان للأبد الظاهر.

﴿ فَٱذۡهَبۡ أَنتَ وَرَبُّكَ ﴾ إنهم قالوا ذلك استهانة بالله ورسوله وقلة مبالاة بهما واستهزاء وقصدوا إذهابهما حقيقة بجهلهم وجفاهم وقسوة قلوبهم التي عبدوا بها العجل وسألوا بهما رؤية الله عز وجل جهرة، والدليل عليه مقابلة ذهابهما بقعودهم.

ويحكى أن موسى وهارون عليهما السلام خروا لوجوههما قدامهم لشدة ما ورد عليهم فهموا برجمهما، وتمردوا عليهما وخالفوهما وقالوا ما قالوا من كلمة الكفر ولم يبق مع موسى عليه السلام مطيع له يثق به إلا هارون، ولذلك قال موسى: ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي لَآ أَمۡلِكُ ﴾ لنصرة دينك ﴿ إِلَّا نَفۡسِي وَأَخِي ﴾.

وهذا من البث والحزن والشكوى إلى الله والحسرة ورقة القلب التي بمثلها تستجلب الرحمة وتستنزل النصرة.

﴿ فَٱفۡرُقۡ ﴾ فافصل، ﴿ بَيۡنَنَا ﴾ وبينهم بأن تحكم لنا بما نستحق وتحكم عليهم بما يستحقون، وهو في معنى الدعاء عليهم.

﴿ قَالَ فَإِنَّهَا ﴾ فإن الأرض المقدسة، ﴿ مُحَرَّمَةٌ عَلَيۡهِمۡ ﴾ لا يدخلونها ولا يملكونها.

فإن قلت كيف يوفق بين هذا وبين التي كتب الله لكم؟ قلت: أن يراد كتبها لكم بشرط أن تجاهدوا أهلها فلما أبوا الجهاد قيل إنها محرمة عليكم.

الثاني: أن يراد فإنها محرمة عليهم أربعين سنة، فإذا مضت الأربعون كان ما كتب.

---

(١) الجامع لأحكام القرآن الكريم للقرطبي (٤/ ٢١٢٣، ٢١٢٤) باختصار وتصرف.

﴿ يَتِيهُونَ فِي ٱلْأَرْضِ ﴾ يسيرون فيها متحيرين لا يهتدون طريقًا[١].

وهكذا يخرج الجبناء فيتوقحون ويفزعون من الخطر أمامهم فيرفصون بأرجلهم كالحمر ولا يقدمون، والجبن والتوقح ليسا متناقضين ولا متباعدين بل إنهما لصنوان في كثير من الأحيان، يدفع الجبان إلى الواجب فيجبن فيحرج بأنه ناكل عن الواجب فيسب هذا الواجب ويتوقح على دعوته التي تكلفه ما لم يرد ويقولون في وقاحة العاجز لا تكلفه وقاحة اللسان إلا مد اللسان، أما النهوض بالواجب فيكلفه وخز السنان.

وهذه هي نهاية المطاف بموسى، نهاية الجهد الجهيد والسفر الطويل واحتمال الرذالات والانحرافات والالتواءات من بني إسرائيل نقوصًا عن الأرض المقدسة ونكولاً عن ميثاق الله وهو مرتبط معهم بالميثاق فبماذا يصنع وبمن يستجير[٢].

وهكذا نقضوا ميثاق الله وتمردوا على رسوله وعصوا أمره وأظهروا جبنهم وخورهم وضعف عقيدتهم وتوقحوا على الله ورسوله وقالوا: ﴿ فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ ﴾ فكأنه ليس ربهم إن كانت ربوبيته ستكلفهم الجهاد الذي يجبنون عنه ولنا أن نتخيل مدى الألم النفسي الذي لحق بموسى عليه السلام تجاه كل هذا فهذا الذي فعلوه تنفطر له القلوب والأبدان.

ولقد ذكر المفسرون أنه من شدة تأثر موسى وهارون خروا أمامهم، فهموا برجمهما فيا لقساوة القلب وخبث النفس.

ولذلك كان جزاء وفاقًا لهم أن حرمت عليهم الأرض التي جبنوا عن الجهاد لدخولها أربعين سنة تاهوا في الأرض ونشأ جيل جديد غير الذي عصى من قبل.

وبعد أن مضت الأربعون وطلب منهم موسى عليه السلام أن يدخلوها بهيئة معينة فتمردوا على أمره وعصوا في ذلك نقضًا للميثاق وعصيان لأوامر الله لأن موسى

---

(١) الكشاف للزمخشري (١/ ٦٠٤، ٦٠٥).

(٢) وفي ظلال القرآن (٢/ ٨٧٠، ٨٧١) باختصار.

عليه السلام لا يكلمهم بأمر إلا بناء على أمر الله، فرغم اختلاف الجيل إلا أنهم اتفقوا في العصيان والتمرد فكأنهم تواصوا بذلك أو أنها جبلة فيهم وإن اختلفت الأشخاص.

ولقد حكى لنا القرآن الكريم عصيانهم لموسى وتمردهم عليه في تلك الوقعة:

قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا ٱدْخُلُواْ هَـٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ فَكُلُواْ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَٱدْخُلُواْ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُواْ حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَٰيَـٰكُمْ ۚ وَسَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ قَوْلاً غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ فَأَنزَلْنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ ﴾ [البقرة: ٥٨-٥٩].

﴿ وَإِذْ قُلْنَا ٱدْخُلُواْ هَـٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ ﴾ سُميت القرية قرية لأنها تجمع أهلها، قيل هي: أريحة وهي قرية الجبارين، وقيل هي بيت المقدس.

﴿ فَكُلُواْ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا ﴾ موسعًا عليكم، ﴿ وَٱدْخُلُواْ ٱلْبَابَ ﴾ يعني بابًا من أبواب القرية وكان لها سبعة أبواب.

﴿ سُجَّدًا ﴾ أي ركعًا خضعًا منحنين شاكرين لله تعالى، ﴿ وَقُولُواْ حِطَّةٌ ﴾ أي حط عنا خطايانا، وهذا أمر بالاستغفار.

﴿ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَٰيَـٰكُمْ ۚ ﴾ نسترها.

﴿ وَسَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ ثوابًا من فضلنا[1].

كان هذا هو الأمر ولكنهم عصوا الأمر وتمردوا عليه.

﴿ فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ قَوْلاً غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ ﴾ عن ابن عباس في قوله ﴿ وَٱدْخُلُواْ ٱلْبَابَ ﴾ قال: باب ضيق.

﴿ سُجَّدًا ﴾ ركعًا، ﴿ حِطَّةٌ ﴾ أي مغفرة.

قال فدخلوا من قبل أستاهم وقالوا حنطة استهزاء، قال فذلك قوله عز وجل: ﴿

---

(١) معالم التنزيل للبغوي (١/ ٧٦).

فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ قَوۡلاً غَيۡرَ ٱلَّذِي قِيلَ لَهُمۡ﴾ [١].

وقوله تعالى: ﴿فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾ يدل على أنهم لم يفعلوا ما أمروا به لا على أنهم أتوا له ببدل[٢].

وقد فسر الإمام ابن الجوزي[٣] التبديل: بتبديل القول والفعل، أما تبديل الفعل ففيه خمسة أقوال:

أحدها: أنهم دخلوا متزحفين على أستاههم[٤].

الثاني: أنهم دخلوا من قبل أستاههم، قاله ابن عباس.

الثالث: أنهم دخلوا مقنعي رؤوسهم، قاله ابن مسعود.

الرابع: أنهم دخلوا على حروف عيونهم، قاله مجاهد.

الخامس: أنهم دخلوا مستلقين، قاله مقاتل.

وأما تبديل القول ففيه خمسة أقوال:

أحدهما: أنهم قالوا مكان «حطة» حبة في شعير.

الثاني: أنهم قالوا: «حنطة».

الثالث: أنهم قالوا «حنطة حمراء» فيها شعرة.

الرابع: قالوا حبة حنطة مثقوبة فيها شعيرة سوداء.

الخامس: أنهم قالوا سنبلاثًا[٥].

---

(١) الدر المنثور للسيوطي (١/ ٧١).

(٢) مفاتيح الغيب للرازي (٢/ ١٢٨).

(٣) ابن الجوزي هو: عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي بن الجوزي، ولد ببغداد سنة ٥١٠هـ، ومن مؤلفاته: «صيد الخاطر»، «الأذكياء»، و«تاريخ عمر» وغيرها، توفي سنة ٥٩٧٨هـ ببغداد. انظر: الأعلام للزركلي (٣/ ٣١٦، ٣١٧).

(٤) أخرجه الإمام البخاري في الأنبياء (٤/ ١٩٠) ط/ دار الشعب.

(٥) زاد المسير لابن الجوزي (١/ ٨٦).

obeikandl.com

حقًا إنهم كانوا في غاية الصلف والوقاحة والسماجة والطفولة، أرأيت إلى هذه الصورة الحقيرة المزرية لأصحابها أن ترى رجالاً ذوي لحى قادرين على المشي والغزو والقتال يقعدون على الأرض ويزحفون على أستاههم كما يزحف الأطفال العاجزون عن المشي على أستاهم ويصحب هذه الحالة المزرية كلام سخيف ليس فيه شكر ولا ثناء ولا استغفار، إنه كلام أطفال غير مميزين تخرج منهم ألفاظ لا معنى لها، وإنما هي أصوات ليس إلا، ويظن هؤلاء الأطفال أنهم تكلموا فأفصحوا ونطقوا فأجادوا.

حقًا إنها الطفولة في الإدراك والطفولة في الفهم والوعي، والطفولة في الحركة[1].

إلى هذا الحد تتقلب على موسى من قومه صفحات الواحدة أسود من التي تليها، فيتلونون عليه بكل ألوان الحماقة والجهالة والجبن والخور، كلما انتهى من موقف مؤلم وضعوه في آخر، وكلما انقرض جيل جاء الذي بعده أسوأ منه، ما أشد هذه الحرب النفسية المثارة ضده عليه السلام والذي استحق بها أن يكون من أولي العزم من الرسل.

حقًا إنها رحلة كليلة مريرة تنقسم لها ظهور الرجال، وتنفطر لها قلوبهم.

رابعًا: المراوغة:

تعددت الألوان والأشكال التي عامل بها بنو إسرائيل موسى عليه السلام تجاه الأوامر التي يبلغهم بها عن ربه إمعانًا في إيلامه النفسي وتحطيم معنوياته.

ففي الفقرة الماضية كانوا يتمردون ويعصون، ويبدلون الأوامر ويغيرونها من تلقاء أنفسهم تغييرًا لا معنى له ولا مفهوم.

وها هم يراوغون ويماطلون في تنفيذ أمر الله المبلغ لهم على لسان موسى عليه السلام بذبح البقرة.

ولقد حكى لنا القرآن الكريم هذه القصة وبين فيها مدى مراوغة القوم في تنفيذ الأمر حيث قال الله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا۟ بَقَرَةً

(١) شغب اليهود (ص٥٨، ٥٩).

قَالُوٓاْ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا ۖ قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنۡ أَكُونَ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴿٦٧﴾ قَالُواْ ٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ ۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٞ لَّا فَارِضٞ وَلَا بِكۡرٌ عَوَانُۢ بَيۡنَ ذَٰلِكَ ۖ فَٱفۡعَلُواْ مَا تُؤۡمَرُونَ ﴿٦٨﴾ قَالُواْ ٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوۡنُهَا ۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٞ صَفۡرَآءُ فَاقِعٞ لَّوۡنُهَا تَسُرُّ ٱلنَّٰظِرِينَ ﴿٦٩﴾ قَالُواْ ٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ إِنَّ ٱلۡبَقَرَ تَشَٰبَهَ عَلَيۡنَا وَإِنَّآ إِن شَآءَ ٱللَّهُ لَمُهۡتَدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٞ لَّا ذَلُولٞ تُثِيرُ ٱلۡأَرۡضَ وَلَا تَسۡقِي ٱلۡحَرۡثَ مُسَلَّمَةٞ لَّا شِيَةَ فِيهَا ۚ قَالُواْ ٱلۡـَٰٔنَ جِئۡتَ بِٱلۡحَقِّ ۚ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُواْ يَفۡعَلُونَ ﴾ [البقرة: ٦٧-٧١].

تعرضت هذه الآيات لقصة من قصص بني إسرائيل ظهر فيها من قلة التوقير لنبيهم ومن الإعنات في المسألة والإلحاح فيها(١).

وهذه القصة مما أراد الله تعالى أن يقصه علينا من أخبار بني إسرائيل في قسوتهم وفسوقهم للاعتبار بها، ومن وجوه الاعتبار أن التنطع في الدين والإحفاء في السؤال مما يقتضي التشديد في الأحكام.

فمن شدد شدد عليه(٢).

تذكر كتب التفسير أن رجلاً موسرًا من بني إسرائيل على عهد موسى عليه السلام لم يكن له أولاد يرثونه فقام أخوه أو أبناء إخوته فقتلوه حتى يرثوه ثم أخذوا جثته ووضعوها في جنح الظلام عند قبيلة يهودية أخرى ثم جاءوا واتهموهم بقتله وطالبوهم بديته، فأنكر هؤلاء قتله، واحتشد الفريقان وأضمرت كل قبيلة للأخرى العداوة والخصام، وبعد تلاسن وتدابر جاءوا إلى موسى عليه السلام وأخبروه بالقضية وضرورة معرفة القاتل(٣) فأمر الله عز وجل موسى أن يأمرهم بذبح بقرة.

---

(١) التحرير والتنوير لابن عاشور، الجزء الأول (١/ ٥٤٦).

(٢) تفسير المنار لمحمد رشيد رضا (١/ ٢٨٢).

(٣) التحرير والتنوير مرجع سابق (١/ ٥٦٠) باختصار وتصرف.

﴿ وَإِذۡ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِۦٓ ﴾ بني إسرائيل.

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تَذۡبَحُواْ بَقَرَةٗۖ ﴾ وذلك عندما وجد القتيل وأرادوا أن يعرفوا قاتله.

﴿ قَالُوٓاْ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوٗاۖ ﴾ أي أتجعلنا مكان هزو أو أهل هزو[١].

والهزو: اللعب والسخرية[٢].

وأشعر جوابهم ما ثبت من فظاظتهم إذ فيه سوء الأدب على من ثبتت رسالته وقد علموها.

﴿ قَالَ ﴾ استئناف[٣] ﴿ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنۡ أَكُونَ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴾.

لأن الهزو في مثل ذلك جهل وسفه، نفى عن نفسه ما رمي به على طريقة البرهان وأخرج ذلك في صورة الاستعاذة استفظاعًا له[٤].

﴿ قَالُواْ ﴾ تماديًا في الغلظة.

﴿ ٱدۡعُ لَنَا ﴾ أي لأجلنا.

﴿ رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ ﴾ ما حالها وما صفاتها.

﴿ قَالَ ﴾ أي موسى عليه السلام بعد ما دعا ربه عز وجل بالبيان وأتاه الوحي.

﴿ إِنَّهُۥ ﴾ تعالى يقول ﴿ إِنَّهَا ﴾ أي البقرة المأمور بذبحها.

﴿ بَقَرَةٞ لَّا فَارِضٞ ﴾ لا مسنة.

﴿ وَلَا بِكۡرٌ ﴾ أي لا فتية، صغيرة لم يلحقها الفحل.

﴿ عَوَانُۢ ﴾ النصف.

---

(١) محاسن التأويل للقاسمي (١/ ١٥٢) باختصار وتصرف.

(٢) فتح القدير للشوكاني (١/ ١٦٠).

(٣) محاسن التأويل للقاسمي (١/ ١٥٢).

(٤) أسرار التأويل وأنوار التنزيل للبيضاوي (١/ ٦٧).

﴿ بَيْنَ ذَٰلِكَ ﴾ أي سني الفارض والبكر.

﴿ فَٱفْعَلُواْ مَا تُؤْمَرُونَ ﴾ هذا أمر من جهة موسى عليه السلام متفرع على ما قبله من بيان صفة المأمور به، وفيه حث على الامتثال وزجر عن المراجعة ومع ذلك لم يفعلوا بل سألوا بيان اللون بعد بيان السن.

﴿ قَالُواْ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَا ۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَآءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا ﴾ شديدة الصفرة ﴿ تَسُرُّ ٱلنَّٰظِرِينَ ﴾ تبهج نفوسهم.

روى ابن جرير بإسناد صحيح عن ابن عباس قال: لو أخذوا أدنى بقرة لاكتفوا بها ولكنهم شددوا فشدد الله عليهم(١).

﴿ قَالُواْ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ إِنَّ ٱلْبَقَرَ تَشَٰبَهَ عَلَيْنَا ﴾ ثم هم لم يتورعوا عن غوايتهم ولا أراعوا عن سفههم وجهلهم بل عادوا إلى تعنتهم فقالوا: ﴿ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ إِنَّ ٱلْبَقَرَ تَشَٰبَهَ عَلَيْنَا ﴾ أي أن جنس البقر يتشابه عليهم لكثرة ما يتصف منها بالعوان الصفراء الفاقعة، ووعدوا أنفسهم بالاهتداء إلى ما دلهم عليه والامتثال لما أمروا به(٢).

ثم أمرهم الله عز وجل بعد ذبحهم البقرة أن يؤخذ عضو من أعضائها ويضرب به الميت الذي قتل وينطق الميت باسم قريبه الذي قتله بعد ضربه، ثم يعود ميتًا، والقبيلتان والناس ينظرون ويشاهدون هذه المعجزة.

والله تعالى يقول: ﴿ وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَٱدَّٰرَْٔتُمْ فِيهَا ۖ وَٱللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٧٢﴾ فَقُلْنَا ٱضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا ۚ كَذَٰلِكَ يُحْىِ ٱللَّهُ ٱلْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ [البقرة: ٧٢-٧٣].

الآية تفيد أن القاتل منكم يا معشر اليهود، ونسب القتل إلى الجماعة بقوله قتلتم مع

---

(١) محاسن التأويل للقاسمي (١/ ١٥٤).

(٢) فتح القدير للشوكاني (١/ ١٦١).

أن القاتل واحد، ذلك أن الكل متواطئ على هذه الجريمة وبخاصة أنتم قد اشتهر عنكم أنكم قتلة الأنبياء والذين يأمرون بالقسط من الناس.

لقد أسندت الآية القتل إلى اليهود المعاصرين للنبي ﷺ لأنهم سلائل أولئك وهم راضون بفعلهم كما أسنده إلى الأمة والقاتل واحد لأن الأمة في مجموعها كالشخص الواحد فيؤخذ المجموع بجريرة الواحد(١).

وهكذا ففي هذه القصة تبدو السمات الرئيسية لبني إسرائيل وهي:

انقطاع الصلة بين قلوبهم وعدم الثقة بربهم وعدم الاستعداد لتصديق ما يأتيهم من الرسل ثم التلكؤ والمراوغة في الاستجابة للتكاليف وتلمس الحجج والمعايير والسخرية المنبعثة من صفاقة القلب وسلاطة اللسان(٢).

ولولا هذا كله لكفاهم أن يقول لهم ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تَذۡبَحُواْ بَقَرَةٗۖ ﴾ فتكون الإجابة منهم سمعنا وأطعنا.

ثم هم أفضل من يفعلون الجريمة ثم يرمونها على غيرهم، وتزيد وقاحتهم أن يطلبوا من هذا الذي رموه عليه جزاء فعله، فهل ترى هذه البجاحة في أحد مثل هؤلاء.

فلله درك يا موسى كم قاسيت من قومك وكم آلموك وكم راوغوك، وكم تباطئوا في تنفيذ أوامرك، وما أشد وما أقسى على قائد أن يكون أتباعه على هذا الحال.

وهكذا تتجلى هذه السمة في بني إسرائيل وهي سمة التلكؤ والمراوغة كسمة لعبت دورًا كبيرًا في حربهم ضد موسى عليه السلام نفسيًا فأحدثوا في نفسه الأثر الكبير من الألم والأسى.

خامسًا: الإيذاء:

لون من ألوان الحرب النفسية استخدمه بنو إسرائيل وأمعنوا في استخدامه ضد

---

(١) تفسير المراغي للأستاذ أحمد مصطفى المراغي (١/ ١٤٤)، طبعة مصطفى البابي الحلبي.

(٢) في ظلال القرآن (١/ ٧٧).

موسى عليه السلام إيلامًا لنفسه وتشويهًا لسمعته ونيلاً من سيرته بين الناس.

وهو ما أشار إليه القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِى وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ ۖ فَلَمَّا زَاغُوٓا۟ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾ [الصف: ٥].

يقول العلامة القرطبي[١] في تفسيره:

﴿ يَٰقَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِى ﴾ وذلك حين رموه بالأدرة، ومن الأذى ما ذكر في قصة قارون أنه دس إلى امرأة تدعي على موسى الفجور.

ومن الأذى قولهم: ﴿ ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ۚ ﴾.

ومن الأذى قولهم: ﴿ فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ ﴾.

وقولهم: إنك قتلت هارون.

﴿ وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ ۖ ﴾ والرسول يحترم ويعظم، ودخلت قد على تعلمون للتأكيد كأنه قال: وتعلمون علمًا يقينًا لا شبهة لكم فيه.

﴿ فَلَمَّا زَاغُوٓا۟ ﴾ أي مالوا عن الحق.

﴿ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ ۚ ﴾ أي أمالها عن الهدى، وقيل: فلما زاغوا عن الطاعة أزاغ الله قلوبهم.

قيل إنهم لما تركوا ما أمروا به من احترام الرسول عليه السلام وطاعة الرب خلق الله الضلالة في قلوبهم عقوبة لهم على فعلهم[٢].

ونظرًا لشدة الإيذاء الذي لاقاه موسى عليه السلام من بني إسرائيل حذر الله عز

---

(١) العلامة القرطبي هو شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح القرطبي، من العلماء العباد، له غير الجامع لأحكام القرآن من المصنفات، التذكر، وشرح الأسماء الحسنى، وغيرها، توفي سنة ٦٧١هـ، انظر: طبقات المفسرين للداودي (٢/ ٦٥، ٦٦).

(٢) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٩/ ٦٥٦١، ٦٥٦٢).

وجل المسلمين من أن يؤذوا نبيهم محمد ﷺ قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوۡاْ مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُواْۚ وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهٗا ﴾ [الأحزاب: ٦٩].

أخرج الإمام البخاري[١] من طريق أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن موسى عليه السلام كان رجلاً حييًا ستيرًا لا يرى من جلده شيء استحياء منه، فآذاه من آذاه من بني إسرائيل، وقالوا: ما يستتر هذا التستر إلا من عيب بجلده إما برص وإما أدرة وإما آفة، وإن الله تعالى أراد أن يبرئه مما قالوا، وأن موسى عليه السلام خلى يومًا وحده فوضع ثيابه على حجر ثم اغتسل فلما فرغ أقبل إلى ثيابه ليأخذها وأن الحجر عدا بثوبه فأخذ موسى عليه السلام عصاه وطلب الحجر وجعل يقول: ثوبي حجر، ثوبي حجر، حتى انتهى إلى ملأ من بني إسرائيل فرأوه عريانًا أحسن ما خلق الله تعالى، وأبرأه مما يقولون، وقام الحجر فأخذ ثوبه فلبسه وطفق بالحجر ضربًا بعصاه فوالله إن بالحجر لندبًا من أثر ضربه ثلاثًا أو أربعًا أو خمسًا**»[٢].

وأخرج الحاكم[٣] وصححه عن ابن مسعود: أن الله أوحى إلى موسى إني متوفي هارون فأت به جبل كذا وكذا، فانطلقا نحو الجبل فإذا هم بشجرة وبيت فيه سرير عليه فرش وريح طيب، فلما نظر هارون إلى ذلك الجبل والبيت وما فيه أعجبه، قال يا موسى إني أحب أن أنام على هذا السرير، قال: نم عليه، قال: نم معي، فلما ناما أخذ

(١) هو محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة ... الجعفي، مولاه أبو عبد الله البخاري، إمام أهل الدنيا في فقه الحديث، روى عن عبيد الله بن موسى ومحمد بن عبد الله الأنصاري، وخلق كثير، وعنه الترمذي، ومسلم وأبو زرعة وآخرون، طلب العلم وجالس الناس ورحل غي طلب الحديث ومهر فيه وكان حسن المعرفة حسن الخلق، أعلم الناس بحديث رسول الله ﷺ وأحفظهم له، توفي سنة ١٥٦هـ، انظر سير أعلام النبلاء (١٢/ ٣٩١).

(٢) أخرجه البخاري في الأنبياء (٤/ ١٩٠)، ط/ دار الشعب بالقاهرة، بدون.

(٣) هو الإمام محمد بن عبد الله بن محمد ... أبو عبد الله الحاكم النيسابوري الإمام الحافظ، الناقد، العلامة شيخ المحدثين، صاحب التصانيف الجمة، توفي سنة ٤٠٣هـ، رحمه الله، انظر: تذكرة الحفاظ (٣/ ١٠٩٣)، وشذرات الذهب (٥/ ٣٣).

هارون الموت، فلما قبض رفع ذلك البيت وذهبت الشجرة ورفع السرير إلى السماء، فلما رجع موسى إلى بني إسرائيل قالوا: قتل هارون وحسده حب بني إسرائيل له، وكان هارون أألف بهم وألين، وكان في موسى بعض الغلظة عليهم، فلما بلغه ذلك قال: ويحكم إنه كان أخي أفتروني أقتله؟ فلما أكثروا عليه، قام فصلى ركعتين ثم دعا الله فنزل بالسرير حتى نظروا إليه بين السماء والأرض فصدقوه(١).

وأخرج البخاري عن ابن مسعود قال: قسم رسول الله ﷺ ذات يوم قسمًا فقال رجل: إن هذه لقسمة ما أريد بها وجه الله، فذكر ذلك للنبي ﷺ فاحمر وجهه ثم قال: «**رحمة الله على موسى لقد أوذي أكثر من هذا فصبر**»(٢).

وذكر العلامة الألوسي صورة أخرى للإيذاء حيث قال: إن قارون أغرى مومسة على قذف موسى عليه السلام بنفسها ودفع إليها مالاً كثيرًا فأقرت بالمصانعة الجارية بينها وبين قارون وفعل به ما فعل كما فصل في سورة القصص.

وقال العلامة الألوسي أنهم آذوه بما نسبوا إليه من السحر والجنون:

﴿ وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهًا ﴾ ذا جاه ومنزلة عند الله عز وجل أو كان مستجاب الدعوة(٣).

وهكذا كان إيذاء بني إسرائيل لموسى متنوع الأشكال والألوان ففيه إمعان لحربه عليه السلام نفسيًا وتأثير في معنوياته، فهم آذوه في جسده وقالوا إن فيه أدرة، وقالوا هو أبرص، وآذوه في سمعته فاتهموه بالفجور مع البغي وآذوه في أعز إنسان عنده فاتهموه بقتل أخيه وبرأه الله من كل هذا وأظهر براءته، ثم هم آذوه في عقيدته فقالوا له ﴿ ٱجۡعَل

---

(١) صحيح الحاكم (٢/ ٥٧٩)، وقال: على شرط مسلم، وقال الذهبي: «بل على شرط الشيخين»، ط/ دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، بدون.

(٢) أخرجه البخاري في الأنبياء (٤/ ١٩١)، ط/ دار الشعب.

(٣) روح المعاني، للألوسي، الجزء الثاني والعشرون (١٢/ ١٣٦) باختصار وتصرف.

لَّنَآ إِلَـٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ﴾ [الأعراف: ١٣٨]، وعبدوا العجل من دون الله، ثم هم آذوه بعصيانهم له وتمردهم عليه برفضهم الجهاد في دخول القرية وبرفضهم الهيئة التي أمرهم أن يدخلوا القرية بها بعد سنوات التيه وبرفضهم قول ما أمرهم أن يقولوه في دخولها.

ثم هم آذوه في تلكؤهم وتباطؤهم ومراوغتهم في أمره لهم بذبح البقرة.

كل هذا يدلنا على قساوة الحرب النفسية التي عايشها موسى عليه السلام من قومه وضراوتها فاستحقوا بهذا كله اللعنة والغضب من الله سبحانه وتعالى، بعد أن كانوا هم المفضلين على العالمين في عصرهم.

العبرة من تاريخ بني إسرائيل:

وقد أكثر القرآن الكريم الحديث عن بني إسرائيل، وأفاض في ذكر حوادثهم ووقائعهم ليأخذ الناس العبرة من حياة هذه الأمة الطاغية الباغية التي تقابل النعمة بالجحود والإحسان بالعصيان، فقد أغدق الله عليهم نعمه ونجاهم من كيد عدوهم، وأهلك فرعون وجنوده، فما كان منهم بعد هذا الجميل والإحسان إلا أن عبدوا العجل وتنكروا لدعوة نبيهم موسى عليه السلام وقتلوا الأنبياء وسفكوا دماء الأبرياء، وفعلوا ما تقشعر له الأبدان، وكانت نهايتهم أن مسخهم الله قردة وخنازير وغضب الله عليهم ولعنهم وضرب عليهم الذلة والمسكنة.

وإن حياتهم سلسلة من الجرائم لا في حق البشرية فحسب بل في حق الأنبياء والرسل وفي حق الذات العليا، ذات الله تبارك وتعالى، حيث اتهموا الله عز وجل بأنواع من الاتهامات الشنيعة فقد اتهموه بالبخل والشح، ورموه بالعجز والظلم[1].

قال تعالى: ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ ۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ ۘ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ ۚ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَـٰنًا وَكُفْرًا ۚ

(١) النبوة والأنبياء للصابوني (ص٢٤٦).

وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۚ كُلَّمَآ أَوْقَدُوا۟ نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا ٱللَّهُ ۚ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا ۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾ [المائدة: ٦٤].

فكان جزاؤهم من الله عز وجل وفاقًا لجرائمهم الشنيعة بأن لعنهم الله، وضرب عليهم الذلة والمسكنة ومسخ منهم قردة وخنازير، فما من شعب تجرأ على مثل رذائلهم، كذلك ما من شعب عوقب من الله عز وجل بمثل عقابهم.

opeikandl.com

المبحث الرابع

الحرب النفسية ضد عيسى عليه السلام وكيف قاومها

obeikandl.com

obeikandl.com

عيسى عليه السلام

رابع أولي العزم من الرسل الذين قاسوا من أقوامهم الويلات والويلات، وقبل الكلام على سيدنا عيسى عليه السلام يجدر أن أتحدث عن أمه مريم عليها السلام.

نسبها:

هي مريم بنت عمران الصدّيقة البتول العذراء الطاهرة التي تربت في حجر الفضيلة، وعاشت عيشة الطهر والنزاهة.

وكان والدها عمران رجلاً عظيمًا، وعالمًا جليلاً من علماء بني إسرائيل، وكانت زوجته أم مريم لا تحمل، فنذرت إن حملت لتجعلن ولدها محررًا لله تعالى لخدمة بيت المقدس فاستجاب الله دعاءها فحملت بمريم عليها السلام.

فلما ولدت تبينت أن الجنين كان أنثى، وكانت ترجو أن يكون ذكرًا ليخدم في بيت الله وفي ذلك يقول الله عز وجل: ﴿فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنثَىٰ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ [آل عمران: ٣٦].

قالت ذلك على وجه التحسر والحزن وذلك أنها كانت ترجو أن يكون ذكرًا لينقطع إلى خدمة بيت الله والعبادة فيه والأنثى لا تصلح لذلك[١].

كفالة زكريا لمريم:

توفي عمران وابنته مريم طفلة صغيرة تحتاج إلى من يكفلها فخرجت بها أمها إلى المسجد فسلمتها إلى العباد المقيمين فيه، وكانت ابنة إمامهم ورئيسهم فتنازعوا واختلفوا فيمن يقوم بكفالتها، وكان زكريا عليه السلام نبي ذلك العصر وهو الذي يريد كفالتها لأنه زوج أختها، وقيل زوج خالتها، وهو أحق بها، ولكنه قطعًا للنزاع وافق على الاقتراع معهم، وخرجت القرعة فكان الكافل لمريم هو زكريا والد يحيى عليهما السلام.

---

(١) المستفاد من قصص الأنبياء للدعوة والدعاة (١/ ٤٧٦) مرجع سابق.

قال الله تعالى: ﴿ وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ۖ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا ۖ قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا ۖ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ ۖ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [آل عمران: ٣٧].

تقبل الله عز وجل مريم من أمها ورضي بها في النذر مكان الذكر لتنقطع لعبادته وخدمة بيته، ورباها ونماها تربية حسنة، وجعل زكريا كافلاً لها(١).

وإنما قدر الله كون زكريا كافلها لسعادتها للتعلم منه علمًا نافعًا وعملاً صالحًا(٢).

وأعطى الله عز وجل مريم كرامات كان زكريا عندما يدخل عليها يجد فاكهة الصيف في الشتاء، والشتاء في الصيف وفيه دلالة على كرامات الأولياء(٣).

فضل مريم عليها السلام:

قال الله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَىٰ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ ﴾ [مريم: ٤٢] أي أن الله اصطفاك للتقرب منه والمحبة، وطهرك من الرذائل، واصطفاك بالتفضيل على نساء زمانك(٤).

أخرج الإمام البخاري أن الرسول ﷺ قال: «**خير نسائها مريم بنت عمران وخير نسائها خديجة بنت خويلد**»(٥).

وأخرج الإمام الترمذي(٦) عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ : «**حسبك من نساء**

---

(١) تفسير المنار (٣/ ٢٤٢).

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/ ٣٦٠).

(٣) نفس المرجع (١/ ٣٦٠).

(٤) تفسير محاسن التأويل للقاسمي (٤/ ٨٤٠، ٨٤١).

(٥) أخرجه الإمام البخاري، كتاب مناقب الأنصار باب تزويج النبي ﷺ خديجة وفضلها رضي الله عنها (٥/ ٤٧)، ط/ دار الشعب.

(٦) الترمذي هو: الإمام أبو عبد عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي، ولد سنة ٢١٠هـ، وتوفي سنة ٢٧٩هـ، كان إمامًا من أئمة المسلمين، وله الكثير من المصنفات أهمها السنن والشمائل المحمدية، والعلل. سير أعلام النبلاء (١٣/ ٢٧٠)، وفيات الأعيان (٤/ ٢٧٨).

obeikandl.com

العالمين: مريم بنت عمران، وخديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمد، وآسية امرأة فرعون»[١].

بشارة الله لمريم:

لما بلغت مريم عليها السلام مبلغ النساء بشرها الله عز وجل بعيسى عليه السلام، قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ﴾ [آل عمران: ٤٥].

أخبرها الله عز وجل بمولود تلده يكون وجوده بكلمة من الله، وسمي المسيح لكثرة سياحته، وقيل: كان مسيح القدمين، ونسب إلى أمه حيث لا أب له[٢].

وبعث الله عز وجل إليها جبريل في صورة إنسان، فعندما رأته ارتابت وخافت على نفسها منه، وظنت أنه رجل عادي، فأخبرها بالحقيقة وهي أن الله عز وجل أرسله بالوحي ليهب لها غلام زكيًا، ونفخ في جيب قميصها نفخة وصلت إلى رحمها فحملت بتلك النفخة، وإنما مثل لها الملك في صورة الإنسان لتستأنس بكلامه ولا تنفر عنه[٣].

ولادة عيسى عليه السلام:

حملت السيدة مريم بعيسى عليه السلام وكان عندها ثلاث عشرة سنة، وقد اختلف العلماء في مدة الحمل، فقيل أنها كانت ساعة، وقيل تسع ساعات، وقيل ثمانية أشهر، والصحيح أنها حملت به حملاً طبيعيًا كما تحمل النساء ووضعته كما تضع النساء[٤].

---

(١) أخرجه الإمام الترمذي، باب فضل خديجة رضي الله عنها، حديث رقم (٥/ ٣٦٧/ ٣٩٨١)، وقال: حديث صحيح، ط/ دار الفكر، بيروت، ١٩٨٠م.

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/ ٣٦٤).

(٣) البحر المحيط لأبي حيان (٦/ ١٨٠).

(٤) النبوة والأنبياء للشيخ محمد علي الصابوني (ص٢٥٦، ٢٥٧) نقلاً عن البداية والنهاية لابن كثير (٢/ ٥).

اتهام مريم عليها السلام:

روى السدي بإسناده عن الصحابة أن مريم دخلت على أختها -زوج زكريا- فقالت لها أختها أشعرت أني حبلى، فقالت مريم وشعرت أني أيضًا حبلى فاعتنقتها وقالت لها -أم يحيى- إني أرى ما في بطني يسجد لما في بطنك، قال: ما لك أرى ذلك لتفضيل عيسى عليه السلام على يحيى، وبلغني أن عيسى بن مريم ويحيى بن زكريا ابنا خالة.

وقد شاع الخبر في بني إسرائيل أن مريم حامل فما دخل على أهل بيت من الهم والحزن كما دخل على آل بيت زكريا حتى اتهمها بعض الزنادقة بيوسف النجار الذي كان يتعبد معها في المسجد واتهمها آخرون بزكريا.

ويقول ابن جرير أنهم أرادوا قتله ففر منهم فلحقوه حتى أمسكوا به ونشروه بالمنشار، فقتل صلوات الله عليه بأيدي اليهود المجرمين[1].

ووضعت مريم البتول العذراء طفلها وهزت جذع النخلة التي لا ثمر فيها فتساقط عليها الرطب الجني فأكلت وشربت وحمدت الله عز وجل، وعندما أقبلت به على قومها فلما شاهدوه فزعوا لهذا الحدث العظيم وأخذوا يظنون بها الظنون، وتعجبوا وقالوا: كيف تأتي مريم بمثل هذه الجريمة النكراء وهنا سكتت مريم وأشارت إلى ولدها الرضيع ليتكلم فدافع عن نفسه وعن أمه ورد الاتهامات والافتراءات وأثبت براءة أمه وطهارتها.

حياة عيسى عليه السلام:

لما بلغ الطفل ثمانية أيام حملته أمه إلى الهيكل فختن وسمته يسوع كما أمرها جبريل عليه السلام.

وعندما بلغ سبع سنين أخذ يتنقل مع أمه من مصر إلى الخليل، وعندما بلغ اثنتي

(١) النبوة والأنبياء (ص٢٥٧، ٢٥٨، ٢٥٩).

عشرة سنة ذهب إلى الهيكل وأخذ يحاج العلماء، وقد أعجب كل الناس بأسئلته وأجوبته[١].

بدء نبوة عيسى عليه السلام:

لما بلغ عيسى عليه السلام من العمر ثلاثين عامًا نزل عليه جبريل عليه السلام بالإنجيل.

دعوته:

كان يدعو الناس إلى دين الحق الذي أوحاه الله إليه في مجتمع يهودي دخل فيه انحرافات كثيرة وخرافات وأباطيل بسبب تمردهم وطغيانهم على الشريعة الربانية التي أنزلها الله على موسى عليه السلام وقد أجرى الله على يدي عيسى عليه السلام كثير من المعجزات الباهرة تصديقًا لنبوته وتأييدًا لرسالته منها: شفاء المرضى، وإبراء الأكمه، وإحياء الموتى، والإخبار عن بعض المغيبات، والكلام في المهد.

قال تعالى: ﴿ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱذْكُرْ نِعْمَتِى عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا ۖ وَإِذْ عَلَّمْتُكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ۖ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ بِإِذْنِى فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِى ۖ وَتُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ بِإِذْنِى ۖ وَإِذْ تُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِى ۖ وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَنكَ إِذْ جِئْتَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾ [المائدة: ١١٠].

وقد لاقى السيد المسيح من اليهود تعنتًا واستكبارًا، ولاقى أثناء دعوته أهوالاً وشدائد وخاصة من الكهنة ورؤساء الدين، فاصطدم معهم بجدال عنيف حول مفاهيم الدين وأصول الشريعة التي جاء بها موسى عليه السلام، والتي حرفها أولئك الظالمون، وأخذ يدلهم على الله ويأمرهم بالاستقامة ويبين فساد طريقتهم ويفضح رياءهم وخبثهم

(١) النبوة والأنبياء (ص٢٦٠، ٢٦١) باختصار.

حتى ضاقوا به ذرعًا فقرروا التخلص منه[١].

مريم والحرب النفسية:

قبل أن أتعرض لعيسى عليه السلام والحرب النفسية المثارة ضده يجدر بي أن أشير إلى أمه البتول عليها السلام لم تسلم من هذه الحرب بل تعرضت لها في أشرف ما عند المرأة.

حيث اتهمها قومها بالزنا عندما حملت في عيسى عليه السلام وبالغوا في اتهامها، ورموها بيوسف النجار، ومنهم من رماها بزكريا حتى ذكرت بعض الروايات أن وصل الأمر أن قتلوا زكريا عليه السلام.

ولقد وبخوها في ذلك وبالغوا في توبيخها، قال تعالى: ﴿ فَأَتَتْ بِهِۦ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُۥ ۖ قَالُوا۟ يَٰمَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْـًٔا فَرِيًّا ﴿٢٧﴾ يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا ﴾ [مريم: ٢٧، ٢٨].

﴿ فَأَتَتْ بِهِۦ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُۥ ۖ ﴾ قال ابن عباس أتتهم به بعد أربعين يومًا حين طهرت من نفاسها وقيل انطلق قومها يطلبونها فلما رأتهم حملت عيسى فتلقتهم به.

﴿ قَالُوا۟ يَٰمَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْـًٔا فَرِيًّا ﴾ وفيه ثلاثة أقوال:

أحدهما: شيئًا عظيمًا.

الثاني: عجبًا فائقًا.

الثالث: شيئًا مصنوعًا.

﴿ يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ ﴾ المراد بهارون خمسة أقوال:

أحدها: أنه أخ لها من أمها وقيل كان من أبيها وأمها.

الثاني: أنها كانت من بني هارون أخو موسى فنسبت إليه لأنها من ولده.

الثالث: أنه رجل صالح كان في بني إسرائيل فشبهوها بها في الصلاح.

---

(١) النبوة والأنبياء (ص٢٦٢، ٢٦٣) باختصار.

الرابع: أن قوم هارون كان فيهم فساق وزناة فنسبوها إليهم.

الخامس: أنه رجل من فساق بني إسرائيل فشبهوها به[١].

﴿مَا كَانَ أَبُوكِ﴾ يعني عمران، ﴿ٱمْرَأَ سَوْءٍ﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما: زانيًا.

﴿وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ﴾ حنة، ﴿بَغِيًّا﴾ أي زانية فمن أين لك هذا الولد[٢].

ولنا أن نتخيل مدى الإيلام النفسي الذي لحق مريم عليها السلام من هذه التهمة الشنعاء التي لا تتهم امرأة بأفظع منها وهي الشريفة العفيفة البتول التي كرمها الله وجعلها تحمل بكلمة منه في نبي من أنبيائه.

اليهود هم اليهود أسرع الناس اتهامًا للشرفاء ونسج الأباطيل حولهم وإشاعتها عنهم فهم قوم غلاظ القلوب خبثاء النفوس.

قال تعالى: ﴿فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ ۖ قَالُوا۟ كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِى ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا ﴿٢٩﴾ قَالَ إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِىَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِى نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِى مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَىٰنِى بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِى وَلَمْ يَجْعَلْنِى جَبَّارًا شَقِيًّا﴾ [مريم: ٢٩-٣٢].

---

(١) زاد المسير لابن الجوزي (٥/ ٢٢٦، ٢٢٧).

(٢) معالم التنزيل للبغوي (٣/ ١٩٤).

الحرب النفسية المستخدمة ضد عيسى عليه السلام

ولقد استخدم ضد عيسى عليه السلام وسائل متنوعة من وسائل الحرب النفسية منها:

أولاً: رميه بالسحر. **ثانيًا: التآمر على قتله.**

أولاً: رميه بالسحر:

وهي التهمة التي كثيرًا ما رمي بها أنبياء الله من أقوامهم والتي تؤكد أن الكفر كله ملة واحدة وإن اختلفت الأزمنة والأمكنة.

قال تعالى: ﴿ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱذْكُرْ نِعْمَتِى عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا وَإِذْ عَلَّمْتُكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ بِإِذْنِى فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِى وَتُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ بِإِذْنِى وَإِذْ تُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِى وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَنكَ إِذْ جِئْتَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾ [المائدة: ١١٠].

﴿ وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَنكَ ﴾ أي منعت اليهود الذين أرادوا بك السوء وسعوا في قتلك وصلبك فنجيتك منهم ورفعتك إلي وطهرتك من دنسهم.

﴿ إِذْ جِئْتَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ ﴾ أي المعجزات التي توجب انقيادهم لك لتعاليها عن قوى البشر فلا يتوهم فيها السحر[(١)].

﴿ فَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾ يعني قال الذين لم يؤمنوا بك وجحدوا نبوتك.

﴿ إِنْ هَٰذَآ ﴾ أي المعجزات[(٢)].

---

(١) محاسن التأويل للقاسمي (٦/ ٢٢١٠).

(٢) الجامع لأحكام القرآن الكريم (٤/ ٢٣٦٠).

﴿ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾ أي إن هذا إلا سحر ظاهر لا من جنس الآيات التي جاء بها موسى[١].

وقرأ حمزة والكسائي «ساحر» أي إن هذا الرجل إلا ساحر قوي على السحر[٢].

وهكذا أقفلت قلوبهم عن قبول الحق والإذعان له وأغمضت عيونهم عن أن يروا وضح النهار فقالوا عن المعجزات الباهرات سحر مبين، وقالوا عن نبيهم المبعوث فيهم ليأخذ بأيديهم إلى الجادة ساحر مبين.

وفي القرآن الكريم مواضع أخرى أشارت إلى ذلك، قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾ [الصف: ٦].

والمعنى: أن عيسى عليه السلام يقول: يا بني إسرائيل إني رسول الله إليكم، والتوراة قد بشرت بي، وأنا مصدق ما أخبرت عنه، وأنا مبشر بمن بعدي وهو الرسول النبي الأمي العربي المكنى أحمد[٣].

﴿ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾ أي لما جاءهم عيسى بالمعجزات قالوا: هذا الذي جاءنا به سحر واضح ظاهر وقيل المراد به محمد ﷺ أي لما جاءهم بذلك قالوا هذه المقالة والأول أولى[٤].

فتعدد مواضع القرآن التي تذكر اتهام بني إسرائيل لعيسى عليه السلام بالسحر توحي بأن ذلك كان ديدنهم وأنهم قد بالغوا في استخدام هذه الوسيلة في حربه عليه السلام نفسيًا.

---

(١) تفسير المنار (٧/ ٢٠٤).
(٢) الجامع لأحكام القرآن الكريم (٤/ ٢٣٦٠).
(٣) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٤/ ٣٥٩).
(٤) فتح القدير للشوكاني (٥/ ٢١٨).

كما تؤكد الآيات الكريمة أنهم قالوا هذه المقولة الشنعاء على أمور كان حقيق بها أن تخضع نفوسهم وأن تذلل قلوبهم لله رب العالمين، ولكنهم قلبوا الحقائق وزيفوا الوقائع فقالوا عن المعجزات الباهرات سحر مبين.

ثانيًا: التآمر على قتل عيسى عليه السلام:

اليهود هم قتلة الأنبياء والصالحين على مر العصور فهم لا يتورعون أمام سفك الدماء والتعدي على الأرواح مهما كانت قدسية الروح التي يتعرضون لها.

قال تعالى: ﴿ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾ [النساء: ١٥٧، ١٥٨].

قوله تعالى: ﴿ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ ﴾ أي وبسبب قولهم هذا فإنه يؤذن بمنتهى الجرأة على الباطل وارتكاب أفظع الجرائم والضراوة بارتكاب الجرائم واستهزاء بآيات الله ورسله(١).

فهم ما وصفوه بأنه ﴿ رَسُولَ اللَّهِ ﴾ إلا على سبيل التهكم والاستهزاء به، ويحتمل أن يكون ذلك منهم بناء على قول عيسى عليه السلام وإن لم يعتقدوه، وقيل أنهم وصفوه بغير ذلك من صفات الذم، فغير في الحكاية.

﴿ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ ﴾ روى عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: أن رهطًا من اليهود سبوه عليه السلام وأمه فدعا عليهم فمسخوا قردة وخنازير فبلغ ذلك يهوذا رأس اليهود فخاف، فجمع اليهود فاتفقوا على قتله عليه السلام فساروا إليه ليقتلوه، فأدخله جبريل عليه السلام بيتًا ورفعه منه إلى السماء ولم يشعروا بذلك فدخل عليه طيطأنوس ليقتله فلم يجده وأبطأ عليهم وألقى الله عليه

(١) تفسير المنار (٦/ ١٥).

شبه عيسى فلما خرج قتلوه وصلبوه[١].

﴿وَمَا قَتَلُوهُ﴾ يعني ما قتلوه حقًا تأكيدًا لانتفاء قتله، وقد روى في سعي اليهود لقتله، أن اليهود لم يؤمنوا بعيسى بالرغم من المعجزات التي أجراها الله على يده، حتى جعل عيسى عليه السلام لا يساكنهم في بلده بل يكثر السياحة هو وأمه في الأرض يدعو إلى الله ولم يقنع اليهود ذلك فأرادوا قتله، وسعوا سعيًا حثيثًا لتحقيق ما أرادوا وروى أن رجلاً من اليهود جعل له جعل ليدلهم على مكان عيسى فما زال يتعقبه حتى عرف مكانه، فدل عليه، وروى أن الشبه ألقى على اليهودي الذي دل عليه فصلب[٢].

وهكذا تصل جرأة هؤلاء العتاة أن يصل بهم الحال إلى أن يحاولوا قتل نبيهم ويقتلوا صاحبهم ظنًا منهم أنه نبيهم فهل رأيت جرأة على الباطل مثل جرأة هؤلاء، وهل رأيت بجاحة على الحق مثل بجاحة هؤلاء.

وهكذا فلقد عانى عيسى عليه السلام معاناة نفسية شديدة من قومه بدأت منذ رميت أمه فيه بالزنا، واستمرت طول حياته من اضطهاد منهم له وكفر به، وعناد وتعنت ضده، والقول على ما جاء به من معجزات أنها سحر.

وتستمر الحرب ضده حتى آخر لحظة قضاها على الأرض حيث رفعه الله تعالى إليه ونجاه منهم عندما عزموا وأصروا على قتله.

إنها حقًا رحلة صعبة مريرة على الرغم من أن عمرها الزمني لم يصل حتى استحق بها عيسى عليه السلام أن يكون من أولي العزم من الرسل.

وهكذا يتبين كيف عانى أولوا العزم من الرسل عليهم السلام الويلات والصعاب من أقوامهم حتى استحقوا بالفعل أن يكونوا أولي العزم.

إنها رحلة طويلة مريرة قاسوها عليهم السلام من أقوام رغم اختلاف أزمانهم

---

(١) روح المعاني للألوسي الجزء السادس (٤/ ١٦).

(٢) المستفاد من قصص القرآن للدعوة والدعاة (١/ ٤٩٦، ٤٩٧).

وأمكنتهم إلا أنه جمعت بينهم الصفات الرذيلة من التعنت مع أنبيائهم وصدودهم عنهم واتهامهم لهم بالتهم الفظيعة التي ينطق واقع هؤلاء الأنبياء بكذبها.

فهم على الرغم من اختلاف العصور وكأنهم تواصوا بمحاربتهم للأنبياء جمع بينهم الطغيان فتشابهت فيهم الفعال.

كما يتبين أيضًا من ذكر الحرب النفسية ضد أولي العزم من الرسل عليهم السلام شفقة هؤلاء الأنبياء ورحمتهم بأقوامهم وحرصهم على هدايتهم وردهم العنف بالحلم والإساءة بالإحسان.

كما تبين أيضًا قوة حجة هؤلاء الأنبياء في ردودهم على أقوامهم ولم لا وهم لا ينطقون إلا عن وحي من خالق الأرض والسماوات.

وتبين أيضًا أن الباطل لا بد مندحر والحق لا بد منتصر مهما طال الزمن فالعاقبة الحسنى للحق وآله.

obeikandl.com